الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

you must be the



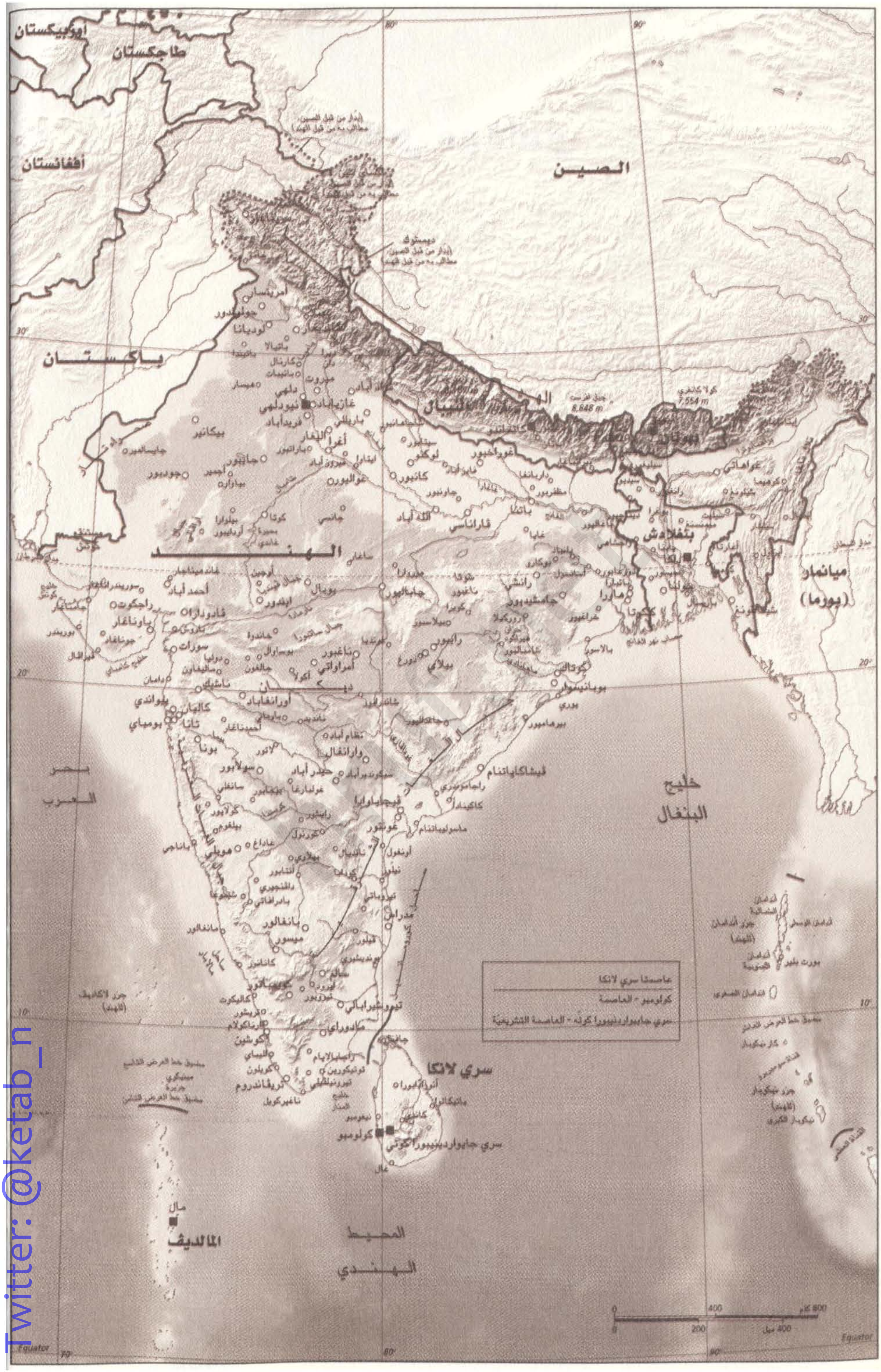
رحلتي مع غاندي

you must be the change you want to see in the world



أحمد الشقيري

رحلتي مع غاندي


أوزبكستان
طاجكستان
أفغانستان
باكستان
الصين
النيبال
بوتان
بنغلادش
ميانمار (بورما)
الهند
سري لانكا
المالديف
بحر العرب
خليج البنغال
المحيط الهندي
نيودلهي
دكا
كولومبو
سري جايواردينيبورا كوتي
مال
جبل إفرست 8,848 m
كولا كانغري 7,554 m
بومباي
كالكوتا
مدراس
بنغالور
حيدر أباد
أحمد أباد
عاصمتا سري لانكا
كولومبو - العاصمة
سري جايواردينيبورا كوتي - العاصمة التشريعية
Equator
80°
90°
70°
30°
20°
10°

رحلتي مع غاندي

أحمد الشقيري

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

1432 هـ - 2011 م

ردمك: 978-614-01-0150-0

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. s.a.l

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الالكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الانترنت: http:www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

استق الحكمة لا يشغلك من
أي ينبوع جرعته يا مستقي
فشعاع الشمس يمتص الندى
من فم الورد ووحل الطـرق

(الشاعر القروي)

مقدمة الكتاب

لماذا هذه الرحلة؟

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله عليه وأفضل الصلاة وأتم التسليم.

بحكم تواجدي في الاعلام يسألني الكثير خاصة من الشباب عن نصيحة تفيدهم في حياتهم، فأقول لهم أنصحكم بالاستمرار في تطوير أنفسكم بدون كلل ولا ملل. كلنا فينا عيوب فالكمال لله، ولكن الفرق بين الناس هو مدى حرصهم على تقليص تلك العيوب على مدى رحلة حياتهم على هذه الأرض.

ودائما أقول: ليس الهدف هو الوصول الى الكمال، فالكمال لله، ولكن الهدف هو السعي المستمر نحو الكمال لكي تصل لأقرب درجة منه.

كيف أقرأ هذا الكتاب؟

الكتاب يتكون من قسمين منفصلين ليس لهما علاقة ببعض. قسم يتحدث عن رحلتي إلى منتجع للـ(يوجا) في

مدينة (بونا) في الهند. وقسم آخر يتحدث عن خواطري حول سيرة المهاتما غاندي قائد الهند في منتصف القرن العشرين.

بإمكان القارئ قراءة أي قسم يريد بدون الالتزام بالتسلسل.

ماذا ستجد في هذا الكتاب؟

ستجد خواطر وحكم حول جوانب عديدة في الحياة. كلنا في النهاية نعاني من نفس الهموم ولدينا نفس الضعف البشري، وفي هذا الكتاب أتحدث بصراحة وشفافية عن هذا الضعف وعن رحلتي في علاجه وتقويمه.

ستجد جوانب روحانية وأخرى فكرية، وسيكون هنالك من كل بستان من بساتين الحياة زهرة.

خواطري حول
سيرة المهاتما غاندي

مقدمة

في هذا القسم أسرد بعض خواطري حول السيرة الذاتية للمهاتما غاندي والتي كتبها بنفسه.

كل خاطرة ستكون عبارة عن جملة من كتابات غاندي باللون البني مقتبسة من كتاب (قصة تجاربي مع الحقيقة) لدار النشر (دار العلم للملايين) طبعة رقم (1) وأذكر في آخر الاقتباس رقم الصفحة، ثم أعلّق عليها تحتها باللون الأسود.

قد أكون متحمساً في بعض تعليقاتي في هذا القسم الذي هدفه هو إظهار أن تعاليم الرسول ﷺ هي تعاليم عالمية أزلية... من يتبعها سينجح في هذه الدنيا ومن يهملها فسيفشل حتى لو كان مسلما.

غاندي رجل قضى عمره في البحث عن الحقيقة وفي الوصول إلى السلام الداخلي، وفي رحلته هذه الكثير من الفوائد لأولي الألباب .

- أدوات البحث عن الحقيقة بسيطة بقدر ما هي عسيرة. وقد تكون متعذرة كل التعذر على الشخص المتغطرس، وممكنة كل الإمكان للطفل البريء. وإن متلمس الحقيقة يجب أن يكون أكثر تواضعا من التراب. إن العالم يسحق التراب تحت قدميه، ولكن الباحث عن الحقيقة يجب أن يذل نفسه بحيث يكون في مقدور التراب نفسه أن يسحقه. وعندئذ، وعندئذ فحسب، يكتب له أن يلمح الحقيقة... وإن المسيحية والإسلام يؤيدان ذلك أيضا تأييدا كبيرا. (P.9)

أقول: ويظهر هذا جليا في قصة إبليس وآدم، فلم يعم إبليس عن الحقيقة إلا تكبّره عن أن يسجد لآدم تحت أمر الله... والذي أوصل آدم للحقيقة هو تواضعه وتوبته فور خطئه... ونجد أيضا لمحة من ذلك في قول الله ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ فهم يمشون على الأرض «هونا» وهو الرفق والسكون من تواضعهم.. أنه إذا آذاهم الجاهل لم يأخذهم الكبر في الرد بنفس الاساءة دفاعا عن النفس.. ولكن لديهم من التواضع ما يجعلهم يقابلون الاساءة بـ السلامّ!!

- لقد رأيت أن سوء الخط يجب أن يعتبر علامة من علامات الثقافة الناقصة. وحاولت منذ ذلك الحين أن أحسن خطي، ولكن بعد فوات الأوان. فلم يكن في ميسوري قط أن أصلح الإهمال الذي فرط مني في عهد الشباب. فليتعظ كل شاب وكل شابة بما أصابني، وليفهم أن الخط الجميل جزء ضروري من الثقافة. وأنا اليوم من الذين يعتقدون بأن الأطفال يجب أن يُعَلَّموا فن الرسم قبل أن يتعلموا كيف يكتبون. دع الطفل يتعلم أحرفه بالملاحظة، كما يتعلم أشياء مختلفة، كالأزهار والأطيار، إلخ. على أن لا يتعلم الخط إلا بعد أن يتعلم كيف يرسم الأشياء. إن خطه خليق بأن يصبح، عندئذ، بارعا جميلا.
(PP.29-28)

أقول: كلام جميل وقد أصبحت هنالك اليوم دورات كثيرة عن قراءة الخط وكيف تعرف شخصية الشخص من خطّه!! ومع الأسف مع تكنولوجيا الكمبيوتر وقلة كتابة اليد ساءت الخطوط لدرجة لم تعد تفهم فيها ما يكتب في أغلب الأحيان!

■ كانت تلك الصداقة نفسها جديرة بأن تقودني إلى خيانة زوجتي. ولكني أنقذت بشق الأنفس. فقد قادني صديقي، ذات يوم، إلى بيت من بيوت الدعارة وأدخلني إلى هناك مزودا بالمعلومات الضرورية. كان كل شيء معدًا إعدادا قبليا. وكانت فاتورة الحساب قد دفعت مقدّما. ومضيت إلى شدق الرذيلة، ولكن الله حماني، برحمته اللانهائية، من نفسي. وأصبت بمثل العمى والصمم في وكر الرذيلة ذاك. لقد جلست قرب المرأة، على سريرها، ولكن لساني كان معقودا. وطبيعي أن يفرغ صبر المرأة، آخر الأمر، فطردتني راشقة إياي بفيض من الشتائم والإهانات. عندئذ شعرت وكأن رجولتي قد أوذيت، ووددت لو أن الأرض تبتلعني من شدة الخجل. ولكني ما فتئت أشكر الله، منذ ذلك الحين، لإنقاذه إياي.. وأستطيع أن أذكر أربعة حوادث أخرى مماثلة في حياتي، وفي معظم هذه الحوادث كان حسن طالعي، لا أي جهد من جانبي، هو الذي أنقذني. ومن وجهة نظر أخلاقية خالصة ينبغي أن تعتبر هذه المناسبات كلها زلات مناقبية، لأن الرغبة الجسدية كانت ماثلة فيها، وكانت تلك الرغبة تعدّل العمل نفسه. ولكن من وجهة النظر

العادية يعتبر الإنسان الذي خلص من ارتكاب إثم جسدي إنسانا منقذا. ولقد أنقذت بهذا المعنى ليس غير. إن ثمة بعض الأعمال التي يكون الهروب منها نعمة سماوية على الهارب وعلى أولئك المحيطين به أيضا. وما إن يستعيد المرء وعيه للحق حتى يشكر الرحمة الإلهية على الهروب. وكما نعلم أن الإنسان كثيرا ما يخضع للإغراء مهما قاوم ذلك الإغراء، نعلم أيضا أن العناية الربانية كثيرا ما تتدخل وتنقذه على الرغم منه. أما كيف يحدث هذا كله، وإلى أي حد يعتبر الإنسان حرا وإلى أي حد يعتبر ابن الظروف، وإلى أي مدى تتصرف الإرادة الحرة وأين يبرز القدر إلى المسرح - أما هذا كله فلغز، ولسوف يظل لغزا. (PP.38-37)

أقول: ما أحلى جملته (كان حسن طالعي، لا أي جهد من جانبي، هو الذي أنقذني) تواضع وإدراك رائع لضعف الإنسان وللطف الله!! وما أقرب ذلك من الآية في سورة يوسف ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ...﴾ فرؤية برهان الرب هي ما أنقذ يوسف عليه السلام من الوقوع في الرذيلة... وهنا يأتي معنى الدعاء "اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين فأهلك"!! نعم هي طرفة عين (أقل من لحظة) إذا تركت فيها لنفسك هلكت ووقعت في المعصية!!

هذه القصة من أعجب القصص في حياة غاندي في رأيي حين يروي اللحظات الأخيرة في حياة والده وكان غاندي وعمه مسؤولين عن العناية به.

- (كانت الساعة العاشرة والنصف أو الحادية عشرة ليلا، وكنت أقوم بعملية الدلك (تدليك والده المريض). وعرض علي عمي أن أكتفي بذلك القدر. فسررت بعرضه هذا، ومضيت لتوي إلى حجرة النوم. وكانت زوجتي، زوجتي الغرة الصغيرة، مستغرقة في النوم. ولكن كيف تنام وأنا هناك؟ لقد أيقظتها من رقادها (لإقامة علاقة حميمة). وما هي إلا دقائق خمس أو ست حتى قرع الخادم الباب. فأجفلت مذعورا. وقال الخادم: "انهض، أبوك مريض جدا". وكنت أعرف طبعا أنه مريض جدا، ومن أجل ذلك حزرت ما الذي عناه تعبير "مريض جدا" في تلك اللحظة. ووثبت من الفراش وثبا.

- "ما المسألة؟ قل لي!"
- "لقد قضى والدك نحبه".

وهكذا انتهى كل شيء. لم يكن في طاقتي أكثر من أن أفرك يدي. لقد شعرت بأعظم الخجل والبؤس. وهرعت إلى غرفة أبي. لقد رأيت أنه لو لم تعمني شهوتي البهيمية، إذن لكان في

ميسوري أن أوفر على نفسي عذاب الانفصال عن أبــي في ساعاته الأخيرة. كان ينبغي أن أكون إلى جانبه أدلك رجليه، وكان ينبغي أن يموت بين ذراعي. أما الآن، فكان عمي هو الذي فاز بهذا الامتياز. كان شديد الإخلاص لأخيه الأكبر إلى درجة أكسبته شرف النهوض بعبء خدماته الأخيرة. وكان والدي قد استشعر قرب المنية فأومأ يطلب قلما وورقة وكتب: "استعدوا للطقوس الأخيرة". ثم إنه خلع التميمة عن ذراعه ونزع عقده الذهبي المرصع بالخرز وألقاهما جانبا. وبعد لحظة، لفظ نفسه الأخير.

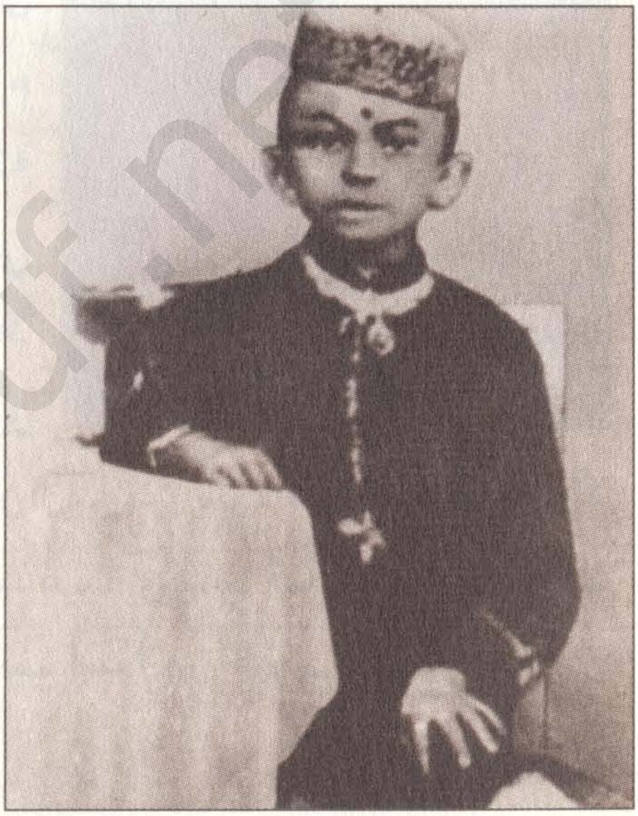
إن العار الذي أشرت إليه في فصل سابق كان عار شهوتي الجسدية حتى في تلك الساعة الحرجة، ساعة وفاة والدي، التي كانت تتطلب خدمة يقظى. كانت لطخة لم أوفق قط إلى محوها أو نسيانها، ولقد قلت في ذات نفسي دائما أنه على الرغم من أن إخلاصي لوالدي لم يعرف حدودا وعلى الرغم من أني كنت جديرا بأن أضحي بكل شيء من أجله، فإن ذلك الإخلاص قد وزن فوجد ناقصا إلى حد لا يغتفر لأن عقلي كان في اللحظة نفسها في قبضة الشبق (الشهوة). من أجل ذلك اعتبرت نفسي دائما زوجا شهوانيا رغم أني زوج مخلص. وقد احتجت إلى زمان طويل لأتحرر من أصفاد

الشهوة، وكان علي أن أجتاز تجارب عديدة قبل أن أتغلب عليها. (pp.45-44)



أقول: كلام يدمع العين!! رغم انه لم يفعل حراما ولكنه اعتبرها "خيانة" أن يترك والده من أجل شهوة (وان كانت حلالا)... حس مرهف ويقظة شعورية قلّ أن تجد لها مثيل!! واليوم الشاب منا يقضي شهوته (في الحرام) ولا يبالي وكأنه لم يفعل شيئا.. فلا تأنيب ضمير ولا شعور بخجل وكأن شيئا لم يكن!! ما من سوء أكبر من الذنب إلا تبلّد الإحساس بعد الذنب!!! وكما قالوا: إن ضحكك وسرورك بعد اقتراف الذنب أسوأ من الذنب نفسه!!

■ أنا اليوم أعتبر الـ "بهاغافات" كتابا قادرا على إثارة الحرارة الدينية. ولقد قرأته في اللغة الكوجاراتية في متعة عارمة. ولكني حين سمعت أجزاء من الأصل يتلوها البانديت مادان موهان مالافيا خلال صومي الذي استمر واحدا وعشرين يوما وددت لو سمعته في طفولتي من مثل هذا الرجل المتفاني فيه، لكي يكون في ميسوري أن أنشأ على الإعجاب به وأنا غض الإهاب. ذلك بأن الانطباعات التي



تتم في تلك السن تمتد جذورها عميقة في طبيعة المرء. وإن أسفي لا ينقضي لأن حظي لم يكن حسنا إلى حد يمكنني من الاستماع إلى كتب أخرى جيدة من هذا النوع تتلى خلال تلك الفترة. (p.48)

أقول: فعلا الأطفال كالاسفنج وكم أنا ندمان على سنين ضاعت من فترة طفولتي وشبابي لم أقتنصها لحفظ آية أو قراءة كتاب!! فاليوم وأنا في الخامسة والثلاثين من عمري ألاحظ أن قدرتي على الحفظ أقل وقدرتي على التركيز أقل بكثير من السابق بسبب كثرة الأشغال والمسؤوليات! وهذه رسالة لكل شاب وشابة: استثمروا ما أنتم فيه فوالله هذه الأيام وهذه الطاقة والقدرة التي أنتم فيها اليوم لن تعود أبدا!

■ ولكن المسيحية وحدها كانت مستثناة في ذلك العهد. لقد داخلني ضرب من الكره لها، ولم يكن ذلك من غير سبب. ففي تلك الأيام كان من دأب المبشرين المسيحيين أن يقفوا عند زاوية قرب المدرسة الثانوية وينثروا المواعظ، صابين الشتائم على الهندوس وآلهتهم. ولم أقو على احتمال ذلك. ولا بد أني وقفت هناك لأسمع حديثهم مرة واحدة ليس غير، ولكن تلك المرة الواحدة كانت كافية لكي تنهاني عن إعادة التجربة. وحوالي تلك الفترة، سمعت أن هندوسيا شهيرا اعتنق النصرانية. وكانت المدينة كلها تتحدث بأنه عيّن عليه، حين عمّد، أن يأكل لحم البقر ويشرب الخمر، وأنه تعيّن عليه أيضا أن يغيّر ملابسه، وأنه شرع منذ ذلك الحين يظهر في زي أوروبي في جملته قبعة كان يعتمر بها. وأثار ذلك أعصابي. لقد قلت في ذات نفسي أن الدين الذي يكره المرء على أكل لحم البقر، وشرب الخمر، وتغيير ملابسه، هو دين لا يستحق هذا الاسم. ولقد سمعت أيضا أن ذلك المسيحي الجديد كان قد شرع يطعن في ديانة أجداده وملابسهم ووطنهم، وكل هذه الأشياء ولّدت في نفسي بغضا للنصرانية. (pp.49-48)

أقـول: يـاااللـلـهّ!! كم نـخطئ نـحن المسلـمون نفس الخطـأ فنكرّه الناس في الدين!! من قال أن من يسلم عليه ان يلبس الثوب والعمة؟؟ من قال أن من يسلم عليه أن يترك أهله ويهجر مجتمعه لكي يصبح مسلما حقا؟!... من عظمة الإسلام مرونته! ومن عظمة الإسلام عالميته واحتوائه لكل الثقافات وكل العادات والتقاليد.. التي ليس فيها مخالفة لجوهر الدين... وهنا يصح أن أنقل قصة ذكرها الدكتور يوسف القرضاوي عن قبيلة في أندونيسيا أرادت أن تدخل في الإسلام فذهبوا إلى الشيخ (أو المفتي) في أندونيسيا فقال لهم: على رجال القبيلة جميعهم أن يختتنوا!!! ففزع رئيس القبيلة وقال: ما هذا الدين الذي يلزم الداخل فيه أن يقطع ذكره؟؟ فامتنعت القبيلة عن الإسلام بسبب فتوى هذا الشيخ!! طبعا سبب الفتوى أن المذهب الشافعي (الذي عليه أهل أندونيسيا) يوجب الختان على الرجال... ولكن أما كان من الحكمة أن ينظر الشيخ إلى مرونة الدين ويأخذ بالأقوال الأخرى والمذاهب الأخرى (مثل المالكية مثلا وغيرهم) والتي تقول إن الاختتان سنة وليس واجب!! فيحبب هذه القبيلة في الدين بدلا من أن ينفّرهم منه!!!! غاندي كره المسيحية (في مرحلة من حياته) بسبب شخص كان يسيء إلى الديانة الهندوسية، وفي هذا إشارة إلى أن رجال الدين المسلمين عليهم أن يحترموا الأديان أولا ولا يسيئوا لأي دين لكي يكسبوا قلوب الناس أولا ولا ينفّروهم فالله سبحانه يقول ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾!!

- أسرت مقطوعة تعليمية كوجاراتية عقلي وقلبي. ولقد أمست الفريضة التي تقول بها – قابل الشر بالخير – مبدئي في الحياة
مقابل قدح من الماء أعط وجبة طعام عظيمة؛
ومقابل تحية لطيفة انحن إلى الأرض في حرارة؛
ومقابل الدرهم البسيط قدّم دينارا ذهبيا؛
وإذا أُنقِذَت حياتك، فلا تبخل بحياتك.
ذلك ما توحي به كلمات الحكماء وأفعالهم،
إنهم يكافئون كل خدمة صغيرة بعشرة أمثالها.
ولكن النبيل الحقيقي يعتبر الناس جميعا كلا واحدا ويرد على الإساءة، وفي سرور، بالإحسان.
(p.50)

أقول: لا تعليق سوى الآية ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾

■ إن ترددي في الخطابة، الذي كان في يوم مضى عائقا، أمسى الآن متعة. كانت فائدته العظمى أنه علمني الاقتصاد في الكلمات. ولقد تعودت بحكم الطبع أن أكبح جماح أفكاري. وأستطيع الآن أن أشهد لنفسي بأن لساني أو قلمي نادرا ما تند منهما كلمة طائشة. ولست أذكر أني ندمت يوما على أيما شيء قلته أو كتبته. وهكذا وفرت على نفسي كثيرا من البلايا وضياع الوقت. لقد علمتني التجربة أن الصمت جزء من النظام الروحي للرجل المتعبد للحقيقة. فالنزعة إلى المبالغة، إلى إخماد الحقيقة أو تعديلها، عن قصد أو عن غير قصد، هي ضعف طبيعي في الإنسان، والصمت ضروري للتغلب على هذا الضعف. إن الرجل القليل الكلام نادرا ما يكون أحمقا في حديثه. إنه يزن كل كلمة. ونحن نجد كثيرا من الناس التواقين أشد ما يكون التوق إلى الكلام. وليس ثمة رئيس اجتماع لم يزعج بكثرة الراغبين في أن يسمح لهم بالكلام. وكلما أعطي هذا الإذن لمتحدث ما فإنه غالبا ما يتجاوز الوقت المحدد له. فيطلب وقتا إضافيا، ويواصل الكلام من غير إذن. وليس في إمكان المرء أن يقول أن في هذا الكلام كله أيما فائدة للعالم. إنه في معظمه مضيعة

للوقت. لقد كان حيائي في الواقع، درعي ومجني، لقد سمح لي بأن أنمو. لقد ساعدني في إدراكي للحقيقة. (p.82)



أقول: سبحان الله.. الناس طباع... لذلك قال تعالى في الحديث القدسي (إن - الله تعالى - خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن، والخبيث والطيب) فها هو غاندي يحوّل صفة (الحياء) التي يتذمر منها الكثيرون ويحاولون التخلص منها إلى فائدة... وها هو الرسول ﷺ يستثمر شدة عمر ويمدحها ويستثمر رقة أبو بكر ويمدحها ويستثمر حفظ أبو هريرة ودهاء خالد بن الوليد وشعر حسان بن ثابت!! كل على طبيعته لا يطلب من أحد الخروج عن هذه الطبيعة وإنما يوظفها في الخير!!

- إن علي أن أقول كلمة عن برج إيفل. أنا لاأعلم أي غرض يؤديه البرج اليوم. ولكنني سمعت آنذاك استخفافا كثيرا به، وإطراء كثيرا له. وأذكر أن تولستوي كان أبرز المستخفين به. لقد قال أن برج إيفل كان شاهدا على حماقة الإنسان، لا على حكمته. وقال أن التبغ أسوأ ضروب السكر جميعا لأن الرجل الذي يدمنه ينزع إلى ارتكاب جرائم لا يجرؤ السكير على ارتكابها. إن الخمر تخبل الإنسان، ولكن التبغ يعتّم تفكيره ويدفعه إلى أن يبني قصورا في الهواء. وإنما كان برج إيفل واحدا من منشآت امرئ واقع تحت تأثير مثل هذا. ويمكن القول أنه لم يضف شيئا إلى جمال المعرض الحقيقي. فقد تدفق الناس لرؤيته، وارتقوه بوصفه طرفة هندسية ذات ضخامة فريدة. كان دمية المعرض. ونحن، ما دمنا أطفالا، تجتذبنا الدمى. وكان البرج دليلا ساطعا على أننا ما نزال أطفالا تجتذبنا الحلى. وأحسب أن في الإمكان القول أن هذا هو الهدف الذي حققه برج إيفل. (pp.100-99)

أقول: يا ترى لو جاء غاندي ورآى تسابق العرب على بناء أعلى المباني وأفخمها ماذا كان سيقول؟؟؟ أعترف أننا صرفنا الملايين بل البلايين على بناء المباني ونسينا



بناء العقول!! ما فائدة أن نقول لدينا أعلى المباني في العالم ولا نستطيع أن نقول لدينا أذكى العقول في العالم؟؟ أمر مؤلم يطول الحديث فيه!

- أنا أؤمن بنظرية "المعلم الديني" (guru) الهندوسية، وأهميتها في التحقق الروحي. إني أعتقد أن ثمة قدر كبير من الصدق في العقيدة القائلة بأن المعرفة الحقيقية مستحيلة من غير "غورو". والمعلم الناقص قد يرتضي في الشؤون الدنيوية، ولكن الأمر ليس كذلك في الشؤون الدينية. إن العالم الكامل هو وحده الذي يستحق التتويج "معلما دينيا". وإذن، فينبغي أن يكون ثمة سعي غير منقطع نحو الكمال. لأن المرء يفوز بالـ "غورو" الذي يستحقه. إن السعي اللانهائي نحو الكمال هو حق من حقوق كل إنسان. إن ذلك السعي ينطوي على مكافأته الخاصة. أما الباقي فهو في يد الله. (p.112)

أقول: السر الأساسي في احترامي لغاندي هو بحثه المستمر عن الكمال وعن الحقيقة!! رجل لا يكل ولا يمل في محاسبة نفسه على كل صغيرة وكبيرة في حياته.. فنراه يحاسب نفسه لتدخينه سيجارة في إحدى أيام شبابه وعلى شهوته مع زوجته (في الحلال) وقت وفاة والده وحاسب نفسه على أمور كثيرة يذكرها في الكتاب بالتفصيل بأسلوب بسيط وصريح في نفس الوقت! ويذكرني هذا بقول عمر بن الخطاب (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا).

مر أخ غاندي بمشكلة معيّنة فطلب من غاندي أن يذهب إلى أحد الضباط الانجليز الذين يعرفهم لكي (يتوسط له) عنده! (يعني بتعبير العرب واسطة أو فيتامين واو...) فانظروا ما حدث لغاندي.

■ ... وهكذا قصدت ذلك الضابط على الرغم مني. كنت أعلم أنه لا حق لي في الاتصال به، وكنت أعي كل الوعي أني أعرّض احترامي الذاتي للهوان. ومع ذلك فقد طلبت مقابلة الضابط، فعيّن لي موعدا. وذكّرته بالمعرفة القديمة، ولكني ما لبثت أن رأيت أن كاثياواد مختلفة عن إنجلترة، وأن الضابط أثناء الإجازة غير الضابط أثناء الخدمة. فقد ذكر العامل السياسي تلك الصلة التي كانت بيننا، ولكن التذكير جعله صلب العد فيما يبدو. "لا ريب في أنك لم تجئ إلى هنا لكي تستغل تلك المعرفة، أليس كذلك؟" ذلك كان معنى تلك الصلابة. ولقد بدا وكأن هذا المعنى مكتوب على جبينه. ومع ذلك فقد بسطت قضيتي. وتبرم "الصاحب" وقال: "إن أخاك متآمر. أنا لاأود أن أسمع منك شيئا إضافيا. ليس لدي وقت. وإذا كان عند أخيك ما يريد أن يقوله فليفعل ذلك بالطريقة الشرعية".

كان الجواب كافيا، ولعلي كنت أستحقه. ولكن الأنانية كانت عمياء. فتابعت بسط القضية.
وهنا نهض "الصاحب" وقال:

- "يجب أن تخرج الآن".

فقلت:

- "ولكن أرجوك أن تسمع إلى النهاية".

وزاده ذلك غضبا على غضب. فنادى مرافقه العسكري وأمره بطردي. وكنت لا أزال مترددا عندما دخل المرافق العسكري، ووضع يديه على كتفي وأخرجني من الغرفة.

ثم رجع الصاحب ومرافقه العسكري إلى الغرفة، ومضيت لسبيلي مغتاظاً هائجا. وفي الحال كتبت رسالة هذا مفادها: "لقد أهنتني... لقد اعتديت علي بواسطة مرافقك العسكري. فإذا لم تعوّض علي، فسوف أقيم الدعوى عليك". وبعثت بالرسالة إلى "الصاحب".

وسرعان ما جاءني الجواب من طريق مرافقه الفارس:

"لقد كنت فظا معي، لقد سألتك أن تنصرف، فلم تفعل. وهكذا لم يكن أمامي غير أن آمر مرافقي العسكري بإخراجك من الغرفة. وحتى بعد أن سألك أن تغادر المكتب، لم تفعل ذلك. وهكذا كان عليه أن يستعمل أقل قدر كاف من القوة



لإخراجك. أنت حر في إقامة الدعوى إذا شئت".

وضعت هذا الجواب في جيبي، ورجعت إلى البيت كسير الخاطر وأخبرت أخي بكل ما حدث. وآلمه ذلك، ولكنه كان في حيرة من أمره لا يدري كيف يدخل العزاء إلى فؤادي. وتحدث بذلك إلى أصدقائه المحامين. ذلك أني لم أكن أعرف كيف أقيم الدعوى على "الصاحب". واتفق أن كان السير فيروز شاه مهتا في راجكوت، آنذاك، وكان قد وفد إليها من بومباي بسبب من دعوى ما. ولكن كيف يجرؤ محام صغير مثلي على الاجتماع به؟ وهكذا بعثت إليه بمستندات قضيتي، من طريق "الوكيل" الذي عهد إليه في النهوض بعبئها، والتمست نصيحته. فقال:...

■ "قل لغاندي إن مثل هذا الحادث يقع دائما لكثير من المحامين. إنه فتى لم تنقض على عودته من إنكلترة غير فترة قصيرة، وهو لا يزال متهورا حاد الطبع. إنه لا يعرف الضابط الإنكليزي. وإذا كان يرجو أن يكسب شيئا وأن يحيا هنا حياة يسيرة فمن الخير له أن يمزق تلك المذكرة ويتغاضى عن الإهانة. إنه لا يكسب شيئا من إقامة الدعوى على "الصاحب"، بل على الضد فإن مثل هذا الصنيع خليق بأن ينتهي به إلى الإفلاس. أخبره أنه لم يفهم الحياة بعد".
كانت النصيحة مريرة، عندي، كالسم الزعاف، ولكني كنت مضطرا إلى ابتلاعها. لقد سكت على الإهانة، ولكني أفدت منها أيضا، فقد قلت في ذات نفسي: "إني لن أضع نفسي بعد اليوم في موقف مغلوط، ولن أحاول بعد اليوم استغلال الصداقة على هذا النحو". ومنذ ذلك الحين لم أنتهك حرمة هذا القرار قط. لقد غيّرت هذه الصدمة مجرى حياتي.

أقول: مثال حي للمقولة: لا يوجد فشل وانما تجارب... وهذه ميزة لدى المتميزين أنهم يستفيدون من التجارب القاسية لبناء الشخصية كما في القصة أعلاه... وتعليق

آخر: ما ضيّع العرب إلا الواسطات!!! وما نجح الغرب إلا بسبب قضائهم (بشكل كبير) على الواسطات والمحسوبيات ومحاربتهم لها!! يمكن أن أحتاج لأن أؤلف كتاباً كاملاً اسمه (ڤيتامين واو) أتحدث فيه بتفصيل عن هذا السم الذي يقتل كل ذرة خير في المجتمعات العربية!!!

تأمّل تعليقه عندما طلب منه الذهاب للعمل في جنوب أفريقيا...

- "ما المدة التي ستحتاجون فيها إلى خدماتي؟ وكم سيكون الراتب؟"

"ليس أكثر من سنة. سوف ندفع لك أجرة العودة في الدرجة الأولى ومبلغا مقداره مئة وخمسة جنيهات، بالإضافة إلى الطعام والسكن".

وكان ذلك أبعد ما يكون عن الذهاب إلى هناك كمحام. كان أشبه بالذهاب كخادم من خدم الشركة. ولكني كنت أريد أن أغادر الهند بأية طريقة. وكانت ثمة أيضا فرصة مغرية، فرصة التعرف إلى بلاد جديدة، والفوز بخبرات جديدة. كذلك كان في ميسوري أن أبعث مئة وخمسة جنيهات إلى أخي، وأساعده على احتمال نفقات البيت. ووافقت على العرض من غير ما مساومة، وأخذت أستعد للسفر إلى جنوب إفريقية. (p.126)

أقول: رحلة جنوب أفريقيا غيرت حياة غاندي وما كان أن يحصل ذلك لولا أنه رضي الذهاب براتب زهيد جدا حيث يقول (كان أشبه بالذهاب كخادم من خدم الشركة) فالأجر لا يناسب أبدا كونه محام!! ولكنها التضحية من أجل التعلم ومن أجل الارتقاء بالنفس... للشباب والبنات: ابدأ حياتك في عمل قد يكون راتبه يسير، وقد يكون في مركز أقل بكثير مما تطمح إليه، ولكن اعلم أن هذه البداية

أساسية إذا أردت أن تصبح متميزاً! وهي كلمة أكررها كثيرا: اشتغل عامل بنزين بألف ريال في الشهر أفضل من أن تجلس في البيت بدون شغل ولا مشغلة، فهذه التجربة ستنمي من مهاراتك وتقوي من عضلة الصبر والتحمل لديك وستكون زاداً لك في مستقبلك!

- "إذا كانت هذه هي النصرانية كما يعترف بها جميع المسيحيين فليس في استطاعتي أن أقبلها. أنا لا ألتمس الخلاص من نتائج خطيئتي. أنا ألتمس الخلاص من الخطيئة نفسها، أو بالأحرى من فكرة الخطيئة نفسها. وإلى أن أبلغ هذه الغاية فسوف أرضى بحياة القلق". (p.152)

أقول: وما زلت أتعجب من حرصه على الكمال والسعي لعدم ارتكاب الخطأ أصلاً! وأعتقد أن هذا هو المطلوب منا كبشر... ليس المطلوب الكمال ولكن المطلوب استمرار السعي نحوه!! وهذا كان دأب غاندي دائما أن يطور من نفسه، وهذا هو دأب كل شاب وشابة اليوم أن نأمل فيهم الخير عندما نراهم يسعون دائما لتطوير أنفسهم بالقراءة وحضور الدورات والذهاب إلى المخيمات الصيفية ومصاحبة المتميزين... حتى إذا أخطئوا نهضوا بعد الخطأ، فليس أسوأ من الخطأ سوى التمادي فيه وتقبّله دون محاولة مستمرة للتخلص منه!

تعرَّض غاندي للأذية من أحد الرجال (البيض) في جنوب أفريقيا، فعندما علم أحد بما حدث اعتذر منه وتأسف بشدة وطالبه أصدقائه برفع دعوى عليه، لكن غاندي قال:

- "لا داعي للأسف. ما الذي يعرفه الرجل المسكين؟ إن جميع الملونين سواء في نظره. وهو، لا ريب، يعامل الزنوج كما عاملني تماما. وقد أخذت على نفسي عهدا بأن لا أقيم الدعوى على امرئ من أَجل أذى شخصي أنزله بي. وهكذا فإني لن أقاضي هذا الرجل". (p.158)

أقول: هنا يدرّب غاندي نفسه عملياً على خُلق (الحلم والعفو)!! وهذا أمر هام في التعلم احفظوه... العلم هو العمل! والعلم ليس هو حفظ العبارات والجمل... قد تحفظ الآية ﴿... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: 40]، ولكنك قد لا تعيشها تطبيقياً في حياتك... قد تحفظ الحديث عن ظهر قلب (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) وقد تردده أينما ذهبت ولكن هل تعيشه؟؟ هل تغتاب الناس؟ هل تؤذيهم؟ لذلك فإن الحمار قد يحمل العلم على ظهره تماما كما يحمله الانسان ولكن الحمار لا يعيش هذا العلم ولا يطبّقه... احفظها: العلم هو فقط ما يعمل به.. الباقي أوهام ومجرد كلام!!

▪ كانت مصاعبي أعمق من ذلك. فقد كنت عاجزا عن الإيمان بأن يسوع كان ابن الله المجسد الوحيد، وعن الاعتقاد بأن من آمن به وحده هو الذي سينعم بالحياة السرمدية. فإذا كان من الجائز أن يكون لله أبناء، فنحن جميعا أبناؤه. وإذا كان يسوع مثل الله، أو الله نفسه، فعندئذ يكون جميع الناس مثل الله، ويمكن أن يكونوا الله نفسه. إن عقلي لم يكن مستعدا للإيمان، حرفيا، بأن يسوع كفّر بموته وبدمه عن خطايا العالم، قد يكون في هذا بعض الحقيقة من الناحية المجازية. وفوق هذا تذهب النصرانية إلى أن للبشر وحدهم - من دون سائر المخلوقات الحية - أرواحا، فإذا ما ماتت تلك المخلوقات كان الموت بالنسبة إليها فناء كاملا. على حين كنت أقول بمعتقد مضاد. كان في استطاعتي أن أرتضي المسيح شهيدا، أن أرتضيه تجسيدا للتضحية، أن أرتضيه معلما إلهيا، ولكن لم يكن في استطاعتي أن أقبل به بوصفه أكمل إنسان قدر له أن يرى النور على سطح هذه الأرض. كان موته على الصليب أمثولة عظيمة للعالم، لولا أن فيه شيئا كالفضيلة الخفية أو



الأعجوبية ما كان قلبي بقادر على قبوله. إن حياة المسيحيين التقية لم تقدّم إلي شيئا عجزت حياة الرجال المنتسبين إلى أديان أخرى، عن تقديمه. فقد رأيت في حياة أخرى صنو ذلك الإصلاح الذي سمعت النصارى يتحدثون عنه. فمن ناحية فلسفية، لم يكن ثمة شيء خارق للعادة في المبادئ المسيحية. ومن ناحية التضحية، بدا لي أن الهندوس فاقوا النصارى بمراحل بعيدة. كان من المتعذر علي أن أعتبر النصرانية دينا كاملا، أو أعظم الأديان جميعا. (pp.165 -164)

أقول: أترك للقارئ التأمل فيما كتب أعلاه.

▪ ونهضت، فأقسمت اليمين أمام أمين السجل. وما أن أتممت القسم حتى خاطبني القاضي الأكبر، قائلا:

"يتعين عليك الآن أن تنزع عمامتك، يا مستر غاندي. يجب أن تخضع لقوانين المحكمة في ما يتصل بالملابس التي يرتديها المحامون المتمرسون".

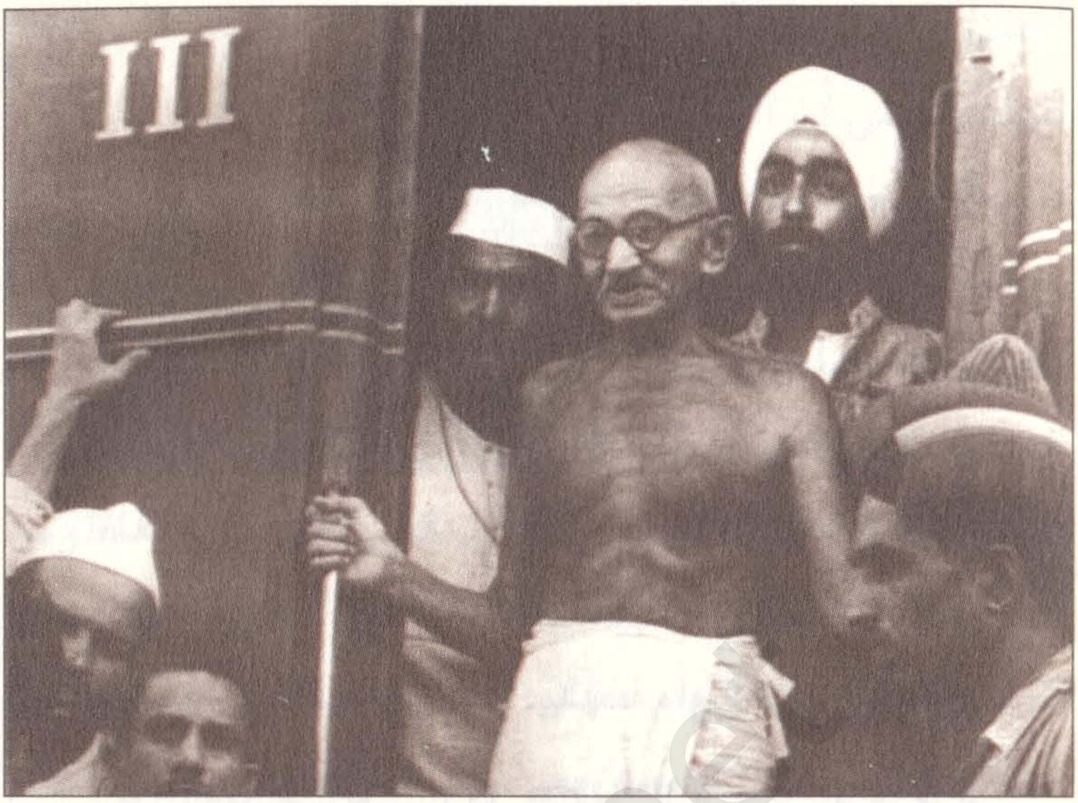
وأدركت حدودي. فالعمامة التي ألححت على الاعتمار بها في محكمة دوربان رضيت أن أخلعها نزولا عند أمر المحكمة العليا. ولم أفعل ذلك لأني إذا أبيت الإذعان للأمر لم يقبل ذلك مني ولم يبرر، ولكني أردت أن أحتفظ بقوتي لخوض معارك أعظم. يجب أن لا أضيّع براعتي كمناضل في الإلحاح على الاحتفاظ بعمامتي. فقد كانت تلك البراعة جديرة بقضية أفضل. (p.177)

أقول: يا سلام على فقه الأولويات! ويا سلام على عدم الانشغال بتوافه الأمور! ويا سلام على تكبير الدماغ!! فما هي العمامة بالنسبة للأمور الكبرى التي كان يحارب غاندي من أجلها!! عليك في حياتك في شكل عام أن تختار المعارك التي تخوضها والمعارك التي تهملها! (to choose

your battles) فالمهم هو الفوز بالحرب بشكل عام وليس في معركة أو معركتين!.. ونرى أن الرسول ﷺ في صلح الحديبية قرر اهمال الخوض في معركة الاسماء عندما أصر سهيل بن عمرو على عدم وضع كلمة (رسول الله) بعد اسم محمد... ولكن الرسول أهمل تلك المعركة من أجل معركة أكبر وأهم وهي تحقيق الصلح والسلام في المنطقة لكي يدخل الناس بعدها في الإسلام أفواجا!! وهذا ما حصل فعلا!

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ اَبِي اِسْحَاقَ، قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ لَمَّا صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اَهْلَ الْحُدَيْبِيَةِ كَتَبَ عَلِيٌّ بَيْنَهُمْ كِتَابًا فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لاَ تَكْتُبْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، لَوْ كُنْتَ رَسُولاً لَمْ نُقَاتِلْكَ. فَقَالَ لِعَلِيٍّ "امْحُهُ". فَقَالَ عَلِيٌّ مَا اَنَا بِالَّذِي اَمْحَاهُ. فَمَحَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ، وَصَالَحَهُمْ عَلَى اَنْ يَدْخُلَ هُوَ وَاَصْحَابُهُ ثَلاَثَةَ اَيَّامٍ، وَلاَ يَدْخُلُوهَا اِلاَّ بِجُلُبَّانِ السِّلاَحِ، فَسَاَلُوهُ مَا جُلُبَّانُ السِّلاَحِ فَقَالَ الْقِرَابُ بِمَا فِيهِ. (صحيح بخاري)

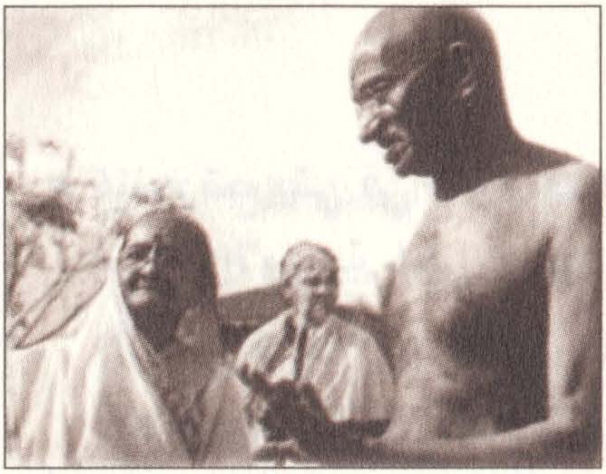
فانظروا الى القصة العجيبة اعلاه كيف رفض علي رضي الله عنه ان يمسح اسم (رسول الله) وكيف تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم بحكمة وبعض نظر ومسح الكلمة بنفسه. فالمعركة ليست معركة "مسميات" ولا معركة يقف فيها الرسول ﷺ عند صغائر الامور، وقد نزلت صورة



الفتح بعد هذا الموقف العظيم، لم تنزل بعد فتح مكة ولم تنزل بعد غزوة بدر. نزلت سورة الفتح بعد صلح الحديبية لما جسّد هذا الصلح من مبادئ رائعة على جميع الاصعدة.

- وحوالي تلك الفترة نفسها تعرفت إلى أسرة مسيحية أخرى. وبناء على اقتراحها أخذت أختلف إلى الكنيسة الويلزية كل يوم أحد. وفي أيام الأحد أيضا كانت الأسرة تدعوني إلى تناول طعام العشاء معها على نحو نظامي. ولكن الكنيسة لم تترك أثرا مستحبا في نفسي. ولقد بدت لي العظات غير ملهمة. وبدا لي جمهور المصلين وكأن التقى يعوزهم. إنهم لم يكونوا مجموعة من النفوس الورعة. لقد كانوا قوما دنيويي التفكير، فهم يقصدون إلى الكنيسة للاستجمام وانسجاما مع العرف. وهناك كانت تأخذني، في بعض الأحيان، سنة من النوم. واستبد بي الخجل، ولكن بعض جيراني الذين لم يكونوا في وضع خير من وضعي، خففوا من وطأة خجلي. ولم يكن في ميسوري أن أستمر على هذا النحو: وما هي إلا فترة حتى أقلعت عن الذهاب إلى الكنيسة. (pp191-190)

أقول: هممم وكأن غاندي يضرب على وتر حساس له علاقة بنا نحن المسلمين أيضاً!! انظروا إلى حال المصلين يوم الجمعة وستعرفون ما أقصدّ!! اللي نايم واللي طفشان واللي قاعد يقرأ قرآن ومخه في غداء الكبسة بعد الصلاة!!!



أجسام حية وأرواح ميته"! أخشى أن الذهاب لصلاة الجمعة أصبح روتيناً تماما كروتين ذهاب المسيحيين إلى الكنيسة كل يوم أحد!

مجرد عادات وطقوس... وغاندي كان ممن يكره الطقوس الخاوية من الروحانية والأثر على النفس... لقد حذّر الرسول ﷺ من أقوام فقال: "يخرج فيكم قوم تحقّرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية". البخاري فهؤلاء يقرأون القرآن كطقوس لا تؤثّر في شيء فيهم!!

- كانت تجربتي في ناتال قد أظهرت لي أن علي أن أتعلم الأوردية لكي أوثق صلاتي بالمسلمين، وأن أتعلم التاميلية لكي أوثق صلاتي بالهنود المدراسيين. (pp.197-196)

أقول: ذكاء أن تحدث الناس بلغتهم فهذا يقرّب الصلات ويزيد من احترام وحب الناس لك... لذلك كان الرسول يتحدث مع كل قوم بلهجتهم!!

لما وفد عليه ﷺ ذو المشعار الهمداني كتب إلى همدان وبعثه مع ذي المشعار: "إن لكم فراعها[1] ووهاظها[2] وعزازها[3]، تأكلون بملافها[4] وترعون عفاءها[5]، لنا من دفئهم[6] وصرامهم[7] ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصدقة الثلب[8] والناب والفصيل والفارض والداجن[9] والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ[10] والقارح[11]"

فهذا الكلام بلهجة همدان إذا سمعه الحجازي أو النجدي وحتى القرشي يحتاج في أكثره إلى شرح وتفسير.

(1) ما ارتفع من الأرض
(2) ما سفل وانخفض
(3) ما صلب واشتد
(4) ما يعلف للدواب
(5) ما ليس لأحد فيه ملك
(6) الإبل والغنم
(7) جمع صرمة: القطعة من النخل والتمر
(8) الجمل المسن
(9) ما يربض حول البيوت لهرمه وهزاله
(10) ما انتهى سنه إلى السادسة من البقر والغنم
(11) الذي شق نابه من ذوي الحافر مطلقا.

- وزارت اللجنة هيكل الفيشنافا أيضا. كان الكاهن المسؤول عن ذلك الهيكل صديقا حميما لأسرتي. وهكذا أجاز لنا أن نلقي نظرة على كل شيء، وأن نقترح إدخال التحسينات التي نرغب فيها. كان ثمة جزء من أراضي الهيكل لم يسبق للكاهن أن رآه قط. كان هو المكان الذي تطرح فيه، من فوق الجدار، النفايات وأوراق الشجر التي اتخذوا منها صحونا وأطباقا. كان مأوى للغربان والحداء. وكانت المراحيض قذرة طبعا. ولم أطل المكث في راجكوت لأرى إلى أي حد نفّذ الكاهن مقترحاتنا. وآلمني أن أرى هذه القذارة كلها حول بيت من بيوت العبادة. فالمرء يتوقع التزاما دقيقا لقواعد علم الصحة في مكان يعتبره الناس مقدسا. (pp.203-202)

أقول: هممم ما أدري ليش افتكرت فجأة الحج!!! وليش افتكرت فجأة الحمامات المزرية في أغلب المساجد في العالم!! يظهر أن مشاكل المساجد موجودة أيضا عند الهندوس في معابدهم... وقد حاول غاندي تطوير هذا الأمر وهو يتحدث ليس فقط عن معابد الهندوس ولكن عن (بيت من بيوت العبادة) وعن (مكان يعتبره الناس مقدسا) أيا كان هذا المكان ولأي دين كان.. فالمسألة مسألة مبدأ!

- كان ميلي إلى التمريض قد تطور شيئا فشيئا، إلى هيام، وبلغ من استبداد هذا الهيام بي حدا كثيرا ما قادني إلى إهمال عملي. ولقد كنت ألزم زوجتي، بل وجميع من أظلهم سقف بيتي، بمثل هذه الخدمة، بين الفينة والفينة. ومثل هذه الخدمة لا يمكن أن يكون لها أي معنى إلا إذا وجد المرء متعة فيها. أما حين تسدى رياء أو خوفا من الرأي العام فإنها تعوق الإنسان وتسحق روحه. إن الخدمة التي تقدم في غير ابتهاج أعجز من أن تعود بالفائدة على أي من الخادم والمخدوم. ولكن جميع المتع والمقتنيات تهزل حتى العدم أمام الخدمة التي تسدى في روح من الابتهاج. (p.206)

أقول: الممرضة التي لا تستطيع الابتسام وتظهر تأففها كل فترة هي أسوأ على المريض من المرض نفسه!!... والصدقة التي تعطى بمنّ وأذى هي أسوأ من الفقر نفسه لذلك قال تعالى ﴿...لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ...﴾ وهذا ما يتحدث عنه غاندي وكأنه قرأ هذه الآية!! فالذي يتصدق للرياء أو السمعة يبطل مفعول الصدقة في قلبه فلا تؤثر على روحه!

- ويحكي غاندي عن رحلة بحرية كان فيها فيقول:

وكانت العاصفة التي فاجأتنا عنيفة جدا ومتطاولة جدا حتى دب الذعر في نفوس الركاب. كان مشهدا مهيبا. لقد أصبح الجميع رجلا واحدا في وجه الخطر المشترك. لقد نسوا خلافاتهم، وبدأوا يفكرون في الإله الواحد، مسلمين، وهندوسا، ونصارى وغيرهم. ونذر بعضهم نذورا مختلفة. واشترك الربان مع المسافرين في صلواتهم. فقد أكد لهم أنه - على الرغم من أن العاصفة لم تكن خلوا من الخطر - عرف في حياته العملية عواصف أسوأ، وأوضح لهم أن الباخرة المنشأة إنشاء مكينا قادرة على الصمود لجميع الحالات الجوية تقريبا. ولكن توكيدات الربان عجزت عن التخفيف من روعهم. فكل دقيقة كنا نسمع أصواتا وقرقعات تؤذن بحدوث فروج وصدوع. واهتزت السفينة ودارت إلى حد بدت معه وكأنها ستنقلب في أيما لحظة، رأسا على عقب. ولم يكن ثمة مجال لأن يبقى أحد على ظهر السفينة. وكانت الشفاه كلها تهتف بعبارة "ما شاء الله كان" ليس غير.

ولاشك أن أربعا وعشرين ساعة تقريبا كانت قد انقضت علينا، في ما أذكر، ونحن في غمرة من ذلك البلاء. وأخيرا صحت السماء، وأطلت الشمس، وقال الربان أن العاصفة قد انحسرت، وأشرقت وجود الناس بالبشر، وبزوال الخطر زال اسم الله عن شفاههم. وانغمس الناس من جديد في الأكل والشرب والغناء والطرب. لقد ولى الخوف من الموت، وحلت الـ "مايا" محل النزعة المؤقتة إلى الصلاة المخلصة. لقد أدى كثير من المسافرين طبعا، الصلوات المعتادة في مواقيتها، ولكنها كانت خلوا من جلال تلك الساعة الرهيبة. (pp.221-220)

أقول: تذكرت فورا قول الله تعالى ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: 32] سبحان الله، الكل موحد في أعماق قلبه وكأنها فطرة فطرها الله في الناس جميعاً! وهنالك إشارة لذلك في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 172]... ثم تأمل جملته بعد انتهاء الكارثة (لقد أدى كثير من المسافرين طبعا، الصلوات المعتادة في مواقيتها، ولكنها كانت خلوا من جلال تلك الساعة الرهيبة) ففرق كبير بين صلاة

ومناجاة القلب فيها حاضر وخاشع وبين صلاة روتينية لأداء الواجب فقط الداخل فيها كالخارج!!.. صلاة ميتة نقرأ فيها أقصر السور علشان نخلص وخلاص! صلاة ما إن ندخل فيها حتى نبدأ نفكر ونخطط.. ايش حنتغدى اليوم... في حروح اليوم في الليل! إلخ إلخ!!... لذلك عندما قال الرسول أن ثلاثة



دعوتهم مستجابة (ثلاث حق على الله أن لا يرد لهم، دعوة الصائم حتى يفطر والمظلوم حتى ينتصر والمسافر حتى يرجع) فإن العامل المشترك بين كل هؤلاء هو حاجتهم الشديدة لطلبهم وتذللهم وشعورهم بالضعف.. ففي هذه الحالة يكون القلب أقرب إلى الله.. وفي هذه الحالة يحصل الخشوع.. وفي هذه الحالة تحصل الاستجابة.. وهنا فائدة لأحد الوسائل التي قد تساعد أن تكون الصلاة أقل روتينية وأكثر خشوعا وهو أن نصلي صلاة مودّع! أي نتخيل أنها قد تكون آخر صلاة لنا على وجه الأرض!! مشاعر كهذه تعيد الحياة إلى القلب...

- وأذكر أن الريان قال لي: لنفرض أن البيض نفَّذوا وعيدهم (بأن يلقوا بهم في البحر إذا لم يعودوا أدراجهم)، فكيف تلزم مبدأك القائل باللاعنف؟ فأجبته قائلا: أرجو أن يمنحني الله الشجاعة والحصافة لكي أغفر لهم وأحجم عن مقاضاتهم. أنا لست حاقدا عليهم. كل ما في الأمر أني أرثي لجهلهم وضيق تفكيرهم. إني أعلم أنهم يؤمنون إيمانا صادقا بأن ما يفعلونه اليوم هو حق وعدل. ومن أجل ذلك فلست أجد سببا يدعوني إلى الحقد عليهم". (p.225)

أقول: عندما يخطئ شخص فأمامك أمرين: إما الغضب أو الحلم... توجّهك سيعتمد على طريقة تفكيرك وعلى ما يحدث داخل رأسك من كلام وتفكير... جملة غاندي هو ما يحصل للشخص الحليم فيقول (كل ما في الأمر أني أرثي لجهلهم وضيق تفكيرهم) فهو حديث عن الشفقة والرحمة تجاه هؤلاء، يؤدي بالتالي إلى عدم الغضب وإلى الحلم... هنا تأمل وصف القرآن لحالة الرسول ﷺ عند تكذيب الناس له ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم﴾.. لوم للنفس... ﴿فلا تحزن عليهم﴾.. ﴿فلا يحزنك قولهم﴾... هي مشاعر حزن ولوم نفس!! ولا توجد آية تقول (فلا تغضب عليهم) فلم يكن شعوره ﷺ غضب بقدر ما هو حزن وأسى نابع من رحمته النبوية...

▪ من العبث الذي لا طائل تحته أن نقول أننا كنا على خطأ أو صواب في القيام بعمل ماض. ولكن من المفيد أن ندرس هذه الأحداث، وأن نتعلم منها، إذا أمكن، درسا للمستقبل. ومن العسير أن نقول، في يقين، كيف يتصرف رجل معيّن في إطار معيّن من الظروف. وفي استطاعتنا أن نرى أيضا أن الحكم على المرء من تصرفه الخارجي ليس أكثر من استنتاج يكتنفه الشك، باعتبار أنه غير مبني على وقائع كافية. (p.228)

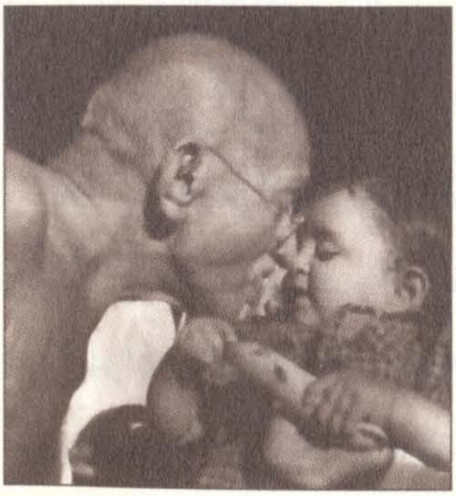
أقول: يعني باختصار دعوا الناس في حالهم ولا تحكموا عليهم ودعوا الخلق للخالق!! فالشخص الذي أمامك توجد ملايين العوامل التي لا تعلمها أدت به إلى ما هو عليه فعلى أي أساس تحكم عليه؟؟.. هنا نفرّق بين الحكم على الشخص والحكم على العمل نفسه! تجد مثلا شارب الخمر يُعْذَر كثيرا فيقول أحد الصحابة: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به.. فيقول الحبيب ﷺ: لا تلعنوه فإنه رجل يحب الله ورسوله!!! ثم يأتي بعد أن يتم تعزيزه ويجلس بجوار الرسول فيسامره!!! هنا فرق الحبيب بين شرب الخمر كعمل وبين الشخص فرأى أنه شخص (فيه خير) ولكنه ابتلي بالخمرّ!! وهنا إشارة للدعاة عند

تعاملهم مع الشباب أن لا يحكموا عليهم من أعمالهم أو حتى من مظهرهم الخارجي...

مرة كانت أمامي سيارة فيها شباب يستمعون الأغاني بصوت عالي فحكمت عليهم في عقلي وقلت (شباب ضايعين) ثم لم تمر ثوان حتى نادى أحد الشباب عامل النظافة وأعطاه صدقة!!! فتعجبت وقلت في نفسي حكمت عليهم دون أن أعلم شيئا!!! الخلاصة: نحن لا نعلم من المُرْضيّ عند الله ومن المغضوب عليه من مجرد الظاهر، فقد يكون للمتديّن ذنب خفيّ أغضب الله وقد يكون للعاصي حسنة خفيّة ترضي الله...

■ أنا مقتنع بأن على الآباء، لكي ينشئوا أولادهم على وجه صالح، أن يتزودوا بمعرفة عامة في موضوع العناية بالأطفال وتربيتهم. فقد لمست، عند كل خطوة، فوائد دراستي العميقة للموضوع. وما كان لأولادي أن ينعموا بالصحة العامة التي ينعمون بها اليوم لو لم أدرس الموضوع وأستغل معرفتي لصالحهم. إننا نرزح تحت ضرب من الخرافة التي تزعم بأن الطفل في غير ما حاجة إلى أن يتعلم في حياته المتأخرة أبداً ما يتعلمه في سنواته الخمس الأولى. إن تربية الطفل تبدأ بالحمل، فحالات الأبوين الجسدية والذهنية، عند لحظة الحمل، تنطبع في نفس الجنين، ثم إن الجنين يواصل، خلال فترة الحمل، التأثر بطباع الأم، ورغباتها، ومزاجها، كما يتأثر بطرائقها في العيش أيضا. وبعد





> الولادة يقلد الطفل أبويه، وطوال عدد غير قليل من السنين يعتمد عليهما في نموه اعتمادا كاملا. والوالدان اللذان يدركان هذه الأشياء لا يقومان بالاتصال الجنسي البتة إشباعا لشهوتهما، ولكن يقومان به حين يرغبان في الذرية فحسب. وأنا أذهب إلى أن نهاية النهايات في الجهل، اعتقاد المرء أن العمل الجنسي وظيفة مستقلة ضرورية كالنوم أو الأكل. إن العالم يعتمد في وجوده على العمل التناسلي، ولما كان العالم هو ملعب الله وانعكاس لمجده، فإن العمل التناسلي يجب أن يضبط ضبطا يكون فيه الخير لنمو العالم على نحو منظم. وكل من يدرك ذلك خليق به أن يسيطر على شهوته بأي ثمن، وأن يتسلح بالمعرفة الضرورية لسلامة نسله الجسدية والعقلية والروحية، وأن يقدم جدوى تلك المعرفة إلى الذرية. (pp.240-239)

أقول: لغاندي فلسفة معيّنة كانت تشمل نظرته السلبية للجنس ولتعلّق الرجل به، وكان يرى أن الجنس من الأمور التي ينبغي أن تبتر في حياة الرجل إذا أراد أن يصبح رجلا روحانياّ! (إلا في حالة الرغبة في الانجاب كما ذكر) وهذا له أساس في الفلسفة الهندية وهو ما يسمى بـ(البراهماتشاريا).. طبعا هذه رهبانية ألزم غاندي نفسه بها لدرجة أنه توقف عن معاشرة زوجته تماما في

محاولة تطبيق هذا المبدأ... وديننا الإسلامي دين وسطي ولله الحمد وهو دين لا يتعارض مع الفطرة، بل ويثيب على الأعمال التي فيها فطرة مثل الجنس (في الحلال) وهذا من عظمة الإسلام أن الروحانية فيه تكون في أي عمل فيه رضى اللهّ! فالرجل قد يشعر بروحانية في صلاته ويشعر أيضا بروحانية عند قضاء شهوته مع زوجته في الحلالّ!! لكل متعته ولكل أثر في روحانية المرء وقربه من



اللهّ!! فالأعمال قد تكون نفسها ولكنها تختلف بمجرد النية فيختلف الأثر.. فيمارس الشاب الجنس (بالحرام) فيهبط بروحانيته إلى أسفل سافلين... وشاب يمارس الجنس (بالحلال) فيرتفع بروحانيته إلى أعلى عليينّ!!.... وهنا سر غضب الرسول على الشباب الذين زاروه فتقالوا عبادته وقال أحدهم أني لا أتزوج النساءّ!! فغضب الرسول لهذا التوجه المنافي لطبيعة البشر وقال أما أنا فأتزوج النساء، من رغب عن سنتي فليس منّي!!

■ يعتبر الصيام ضروريا كاختيار الطعام وتقييده. فالحواس هي من القوة العارمة بحيث لا يمكن ضبطها إلا عندما تسوَر من جهاتها جميعا، من فوق ومن تحت. ومن الأمور المعروفة أنها تكون عاجزة من غير طعام، وهكذا فلست أشك في أن الصيام، إذا اتخذه المرء وسيلة إلى ضبط الحواس، مسعف إلى حد بعيد. ولكن الصيام لا يجدي في بعض الناس، لأنهم إذ يفترضون أن الصيام الآلي وحده سوف يمنحهم الحصانة فإنهم يحرمون أجسادهم من الطعام ولكنهم يمتّعون عقولهم بمختلف ضروب اللطائف، مفكِّرين دائما في الذي سوف يأكلونه والذي سوف يشربونه عند انقضاء الصيام. إن مثل هذا الصيام لا يساعدهم على ضبط حاسة الذوق ولا على ضبط الشهوة الجنسية. الصيام يكون مسعفا عندما يتعاون العقل مع الجسد الجائع. يعني عندما ينمي كراهية للأشياء التي تحرم على الجسد. إن العقل ماثل في أصول النزعات الشهوانية كلها. ومن هنا فإن للصيام جدوى محدودة، لأن الصائم قد يواصل الخضوع لتيار الشهوة. ولكن في الإمكان القول أن إخماد الشهوة الجنسية مستحيل، دائما، من غير صيام.

(pp.247-246)

أقول: يا اللللله.. كلام من ذهب!! كأني أرى العرب في رمضان وقد زادت شهوتهم للأكل فزادت أوزانهم وزادت شهوتهم للمعاكسات فأصبح رمضان شهر المعاكسات.. لماذا؟؟ أجاب غاندي فقال أن الصيام الآلي لا يجدي ولا يؤتي أي ثمرةّ!! وفعلا صيامنا أصبح آلياً.. تقاليد.. عادات.. خالية من الروح!! والنتيجة أن الشباب بعد المغرب مثل المساعير في الأسواق يبحثون عن البنات!! لأول مرة أفهم قول الحبيب (يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج. فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم. فإنه له وجاء). فالصيام الذي يتحدث عنه الرسول هو صيام عميق تصوم فيه كل ذرة من جسمك عن أي مكروه.. حتى أفكارك تصوم عن التجول في المحرّمات!! وهذا الصيام هو الذي يضبط شهوة الشباب! أشعر بحزن على نفسي وعلينا نحن المسلمين أن الله أنزل لنا كنزا في علبة فحرصنا على العلبة وشكلها ومكانها وتنظيفها ونسينا الكنز في الداخل ولم نفتح العلبة مطلقا!!! صيام خالي من كل أهداف الصيام!

- وكما حررت نفسي من العبودية للغسال، وبالطريقة نفسها، تحررت من التبعية للحلاق. إن جميع الذين يسافرون إلى إنكلترة يتعلمون هناك فن حلاقة الذقن على الأقل، ولكن أحدا لا يتعلم - في ما أعرف - كيف يقص شعر رأسه بنفسه. ولقد كان علي أن أتعلم ذلك أيضا. فقد قصدت ذات مرة حلاقاً إنكليزياً في بريتوريا. فرفض، في ازدراء، أن يقص شعري. فشعرت أني أوذيت، من غير شك، ولكني ما لبثت أن اشتريت مقصا وقصصت شعري أمام المرآة. ولقد نجحت كثيرا أو قليلا في قص الشعر الأمامي، ولكني أتلفت الشعر الخلفي. وضج أصدقائي، في دار القضاء، بالضحك.

- "ما الذي أصاب شعرك، يا غاندي؟ هل قرضته الجرذان؟"

فقلت:

- "لا، إن الحلاق الأبيض لم يتنازل فيمس شعري الأسود. وهكذا آثرت أن أقصه بنفسي، مهما تكن النتيجة رديئة".

ولم يدهش جوابي أولئك الأصدقاء.

والحق أن الحلاق ما كان مخطئا في رفضه قص

شعري. فقد كان من شبه الثابت أنه لو خدم الرجال السود إذن لخسر زبائنه. إننا لا نجيز لحلاقينا أن يخدموا إخواننا المنبوذين. ولقد نلت جزاء ذلك في جنوب إفريقية، لا مرة واحدة، ولكن مرات عديدة، ولقد كان في إيماني بأن ذلك عقاب على آثامنا نحن - أقول كان في ذلك ما نجاني من الغضب. (p.250)

أقول: مبدأ أساسي عند المتميزين... التركيز على ما تستطيع فعله أنت وليس على الآخرين... رفض الحلاق أن يقص شعر غاندي فقرر بكل بساطة أن يقص شعره بنفسهّ!! بدلا من أن يغضب ويرفع قضية على الشخص أو يؤذيه بطريقة غير مباشرة... خيار غاندي في قص شعره وفّر عليه الكثير من مشاعر الغضب وكان حلا مسالما له وللحلاق في نفس الوقت! وما زلت أعجب في مواقفه التي تكررت كثيرا في كتابه وهو يبرّر تصرف الشخص الآخر!! وهو مبدأ اعذار أخيك المسلم الذي روي عن بعض السلف، ومنه: "ألتمس لأخي من عذر إلى سبعين، ثم أقول: لعل له عذرا آخر لا أعرفه" وهو مبدأ أساسي إن أردت أن تعيش مرتاح البال وبأقل عداوات ممكنة... مبدأ أن تجد للغير مبررا لتصرفه وان كان هذا التصرف خاطئاّ!! وهنا أقول: المتميز يجد المبررات لأخطاء الآخرين ولكنه في نفس الوقت لا يبرر أخطاء نفسه ولكن بالعكس يقسو على نفسه في محاولة دائمة للتطور والارتقاء.

- لقد اعتقدت آنذاك، كما أعتقد حتى في هذه الأيام، أن على المرء - مهما تكاثرت عليه الأعمال - أن يجد بعض الوقت للرياضة البدنية، كما يجد وقتا لتناول الطعام. وفي رأيي المتواضع أن ذلك الصنيع لا ينقص من قدرته على العمل. إنه - على نقيض ذلك - يزيد في هذه القدرة. (p.273)

أقول: سبحان الله، المبدأ نفسه موجود عند غاندي قبل ستين عاما وقبل انتشار (الجيم) وموضة الرياضة... وقبله الحبيب يقول (العقل السليم في الجسم السليم) اقتراحي: الرياضة بين ثلاث إلى خمسة مرات في الأسبوع لمدة نصف ساعة كحد أدنى.. تفرغ فيها طاقاتك السلبية وتعيد تنشيط جسمك وفي نفس الوقت تضمن لنفسك جسما صحيا عند كبر السن.

ويعبّر غاندي عن أسفه لحالة القذارة التي لاحظها عند زيارة إحدى معابد الهندوس فيقول:

■ وكان الوصول إلى الهيكل يقتضيك اجتياز ممر ضيق زلق. أما الهدوء فكان مفقودا هناك. والواقع أن الذباب المحتشد والضجة المنبعثة من أصحاب الحوانيت ومن الحجاج كانا شيئا لا يحتمل... كان التأمل الروحي يعوز ذلك المكان الذي يتوقع المرء أن يجده فيه. فكان عليه أن يلتمس ذلك الجو في صميم نفسه. لقد لاحظت متنسكات مستغرقات في التأمل، غافلات عن كل ما حولهن. ولكن الفضل في ذلك لا يمكن أن يعزى إلى المشرفين على الهيكل، إلا في النادر النادر. إن على هؤلاء المشرفين أن يخلقوا حول الهيكل جوا طاهرا، عذبا، رائقا، من الوجهتين المادية والأخلاقية، وأن يحافظوا على هذا الجو. ولكني وجدت، بدلا من ذلك، سوقا أو "بازارا" حيث كان بعض أصحاب الحوانيت الماكرين يبيعون حلويات ودمى من أحدث طراز.

وحين وصلت إلى الهيكل رحب بي على المدخل ركام نتن من الأزهار المهترئة. كانت الأرض مفروشة بالرخام الفاخر، ولكن أحدا من المتعبدين المحرومين من الذوق الفني حطم هذا الرخام لكي يرصعه بالروبيات التي أمست منذ

ذلك الحين وعاء ممتازا للأقذار.

ومضيت إلى مقربة من الـ"جنانا - فابـي" (بئر المعرفة). وبحثت ههنا عن الله، ولكني لم أجده. وهكذا لم أكن في مزاج صالح جدا. ولقد وجدت أن ما يحيط بالـ"جنانا - فابـي" كان قذرا أيضا. ولم أكن أعتزم أن أقدم أيما هبة. وهكذا قدمت "باية" واحدة. فاستبد الغضب بالـ"باندا" المكلف، وألقى بالـ"باية" عرض الحائط. ثم إنه شتمني وقال: "هذه الإهانة سوف تقودك إلى الجحيم مباشرة".

ولم يزعجني ذلك فقلت:

- "أيها المهراجا، مهما يكن القدر الذي ينتظرني، فليس يلائم رجلا من طبقتك أن يطلق لسانه بمثل هذه اللغة. في استطاعتك أن تأخذ هذه الـ"باية" إذا شئت، وإلا فقدتها أيضا".

فأجاب:

- "اغرب من هنا. أنا لا أبالي بـ"بايتك" هذه".

ثم أمطرني بوابل آخر من السباب.

وتناولت الـ"باية" ومضيت لسبيلي، معزيا نفسي بأن البرهمي قد خسر "باية"، وأني قد أنقذت "باية". ولكن الكاهن لم يكن بالرجل الذي يدع "باية" تفلت منه. فناداني وقال:

- "حسن، دع الباية هنا. أنا أؤثر أن لاأكون مثلك.

إذا رفضت بايتك فسوف يكون ذلك شرا عليك".
وأعطيته الـ"باية" في صمت، وانصرفت وأنا أطلق زفرة.. (pp.284-282)

أقول: لا تعليق سوى كلمة واحدة: الحجّ!!!! كأني أرى غاندي يصف حال الحجّ!! من ذهب إلى الحج يعرف مدى القذارة التي تعتري كل الشوارع في منى وفي عرفات... أذكر أنه في حجتي الأخيرة عندما كنت أمشي في عرفات كنت لا أرى الاسفلت ولا لون الشارع من تكوم القاذورات في الشارع من رز ولبن ونواة الرطب والعلب والقوارير.. كلها كوّنت طبقة سميكة فوق كل شوارع عرفات!! فأي روحانية هذه؟ وأي متدينون الذين يأتون من كل فج عميق ليظهروا عبوديتهم لله وليس لديهم أدنى احترام لنظافة المكان المقدس الذي خصصه الله لهم؟؟!! سؤال قد يكون مستفزا للبعض: أيعقل أن تكون ديزني لاند أنظف من عرفات؟؟!! أيعقل أن يلتزم زوار ديزني لاند بقواعد النظافة ولا يلتزم بها زوار الرحمن (أو ضيوف الرحمن)!!! لا تعليق!

▪ وفهمت تعاليم الجيتا الخاصة باللاتملك على هذا النحو: إن أولئك الذين يرغبون في الخلاص يجب أن يسلكوا مسلك الوصي الذي يسيطر على ممتلكات ضخمة، ومع ذلك فهو لا يعتبر أن ذرة واحدة منها هي ملك له. واتضح لي، وضوح الشمس في رائعة النهار، أن اللاتملك والتعادلية يفترضان تغيّر القلب، تغيّر السلوك. وعندئذ كتبت إلى ريفاشانكارباي بإبطال عقد التأمين واسترجاع أيما مبلغ يستطيع إرجاعه، وإلا فليعتبر جميع الأقساط المدفوعة وكأنها ضاعت، ذلك لأني كنت قد اقتنعت بأن الله، الذي خلق زوجتي وأولادي كما خلقني أنا، سوف يعنى بهم. وإلى أخي، الذي كان بمثابة الأب بالنسبة إلي، كتبت موضحا أني سبق لي أن أعطيته كل ما ادخرته حتى تلك اللحظة، وأن عليه أن لا يتوقع شيئا مني بعد اليوم، لأن ما سأقتصده في المستقبل - هذا إذا اقتصدت شيئًا - سوف يرصد لخير الجالية. (لأعمال الخير) (p.309)

أقول: سئل أحد الأعراب: هل هذه الدابة لك؟ فقال: هي لله في يديّ!... هذا المفهوم أنا أعرفه جيدا ولكنه لم يتغلغل

في أعماقي إلى الآن... ولكن تأتيني لحظات أستشعر فيها هذا المفهوم أن كل ما أراه أمامي هو في الحقيقة لله وما نحن إلا أدوات.. وأعترف أن هذه اللحظات التي يتغلغل فيها هذا المفهوم أعماقي أشعر براحة عجيبة لا توصف وأشعر أن قلبي يطير!!...

- إن الرجل وعمله شيئان متميزان. ففي حين يتحتم أن يقترن العمل الصالح بالاستحسان والعمل الطالح بالاستهجان، فإن فاعل العمل، سواء كان خيرا أم شرا، يستحق دائما الاحترام أو الشفقة تبعا لطبيعة الحالة. إن قاعدة "ابغضوا الإثم لا الآثم" نادرا ما تطبّق على الرغم من سهولة فهمها. وهذا هو السبب الذي من أجله ينتشر سم البغض في العالم. (p.321)

(أقول: كلام قوي لن أضعفه بتعليقي!!!)

■ وكانت التعليمات التي قدّمت إلينا تقضي بإعطاء المرضى جرعات من البراندي والكونياك (أنواع من الخمور). ولقد ذهبت الممرضة إلى أبعد من ذلك فسألتنا أن نتجرع البراندي على سبيل الوقاية، كما كانت تفعل هي، ولكن أحدا منا لم يرض أن يمسه. وكنت لا أثق بفائدته حتى للمرضى. وبموافقة الدكتور غودفري، أخضعت ثلاثة من المرضى كانوا على استعداد للاستغناء عن البراندي، أخضعت هؤلاء المرضى الثلاثة للمعالجة بالتراب، مطوقا رؤوسهم وصدورهم بعصائب ترابية رطبة. وأنقذت اثنان من أولئك الثلاثة. أما العشرون الآخرون (الذين تداووا على يد الممرضة بالبراندي) فماتوا في المستودع.

وفي غضون ذلك كانت البلدية منهمكة في اتخاذ إجراءات أخرى. وكان حجر صحي قد ضرب على مسافة سبعة أميال من جوهانسبورغ تقريبا. ونقل المريضان اللذان ظلا على قيد الحياة إلى خيمتين أقيمتا على مقربة من المحجر، واتخذت الترتيبات لإرسال جميع المصابين الجدد إلى هناك. وهكذا رفع عبء العمل عن عاتقنا.

وفي خلال أيام قليلة علمنا أن الممرضة الصالحة كانت قد أصيبت بالعدوى فصرعتها في الحال. ومن المتعذر علي أن أفسر كيف أنقذ المريضان اللذان ظلا على قيد الحياة، وكيف بقينا نحن في نجوة من الداء، ولكن التجربة زادتني إيمانا بالمعالجة بالتراب، كما زادتني شكا بفعالية البراندي، حتى كدواء. أنا أدري أن أيا من هذا الإيمان وذلك الشك لم يكن قائما على أساس متين، ولكني لا أزال أحتفظ بالانطباعة التي تلقيتها آنذاك، ومن أجل ذلك رأيت أن من الضروري أن أشير إليها هنا. (pp.341-340)

أقول: ألا تعجبون من إيمان غاندي وثباته على مبادئه!! (رجل يترك الخمر من أجل مبادئه حتى وإن كان في ذلك خطرا على حياته!)

- **وإذن فالإشارة هنا إلى هذه التجارب لا يقصد بها إظهار نجاحها. فلست أستطيع أن أدعي النجاح الكامل لأي منها، وحتى الأطباء لا يستطيعون أن يدّعوا مثل هذا النجاح لتجاربهم. إن غرضي لا يعدو إظهار ما أعتقده من أن على كل من يحاول القيام بتجارب جديدة أن يبدأ بنفسه. ذلك أجدر بأن يقوده إلى اكتشاف الحقيقة على نحو أسرع، والله يسبغ حمايته دائما على المجربين المخلصين. (p.357)**

أقول: أستغرب كيف يحاضر عن إدارة الشركات وفنونها من لم يدر شركة قط في حياته؟! أو من يحاضر عن التحكم في الغضب وهو أكثر الناس غضبا؟... فعلا على الانسان أن يبدأ تجرّع الدواء بنفسه أولا ليرى فاعليته ثم ينقل هذه التجربة للآخرين... ففاقد الشيء لا يعطيه.

من اللطائف في هذا الموضوع في احدى الأيام كنت في حديث مع حماتي (والدة رولا زوجتي) فعاتبتني على أني لا اتواصل معها بشكل مستمر ولا أتصل كثيرا وقالت لي بما معناه: فين أحمد اللي يظهر خواطر؟ ولا الحكاية بس تلفزيون؟ فقلت لها ضاحكا: أتحداك أن تجدي حلقة واحدة لي في خواطر لأتحدث فيها عن صلة الرحم!!! فأنا لم

أتحدث عن هذا الأمر قط بسبب أني أشعر أني مقصّر في هذا الجانب في حياتي الشخصية لذلك تجنبت أن أنصح الناس فيه.

- ويتعين علي هنا أن أوجّه إلى الطامحين للبراهماتشاريا تحذيرا. فعلى الرغم من أني أقمت الدليل على أن هناك صلة حميمة بين الغذاء والبراهماتشاريا (الامتناع عن الجنس) فالذي لا ريب فيه هو أن العقل هو الشيء الأساسي. إن العقل غير الطاهر على نحو واع لا يمكن أن يطهر بالصيام. والتعديلات المدخلة على الغذاء لا تأثير لها في ذلك. إن شهوة العقل لا سبيل إلى استئصالها إلا بامتحان النفس على نحو صارم، وبالاستسلام لله، وأخيرا بالنعمة الإلهية. ولكن ثمة صلة وثيقة بين العقل والجسد، والعقل المادي يشتهي دائما اللطائف والمتارف. ولتفادي هذه النزعة يبدو الصيام والقيود المفروضة على الغذاء شيئا ضروريا. إن العقل المادي يصبح عبد الشهوات بدلا من أن يكون المسيطر عليها، ومن أجل ذلك يحتاج الجسد دائما إلى أطعمة نظيفة غير مثيرة، وإلى صيام دوري.

إن أولئك الذين يستخفون بالقيود الغذائية والصيام مخطئون بقدر ما هم مخطئون أولئك الذين يعلقون آمالهم كلها على الصيام والقيود الغذائية وتعلِّمني تجربتي أن هذا الصيام وذلك التقييد مفيدان جدا لكل من يتطلع تفكيره إلى

كبح الذات. والواقع أن الغلمة لا يمكن أن تنتزع من العقل انتزاعا كاملا إلا بمساعدتهما. (p.382)

أقول: علّقت في مقال سابق عن رأيي في البراهاتشاريا لكني هنا أتفق مع غاندي على أنه ليس في الحاجة إلى الامتناع التام عن الجنس ولكن محاولة تقنينه والتوسط فيه بدون افراط... كما أتفق على اشارته لموضوع ضرورة ضبط العقل! فكم من رجل لا يخون زوجته بالجسد ولكن يخونها بفكره مرارا وتكرارا وهذا وإن لم نستطع أن نحكم عليه أنه أذنب لأنه لم ينتقل إلى مرحلة الفعل ولكنه بلا شك أذنب في حق روحه وصفائها وارتقائها، ولا شك أن الذي يطلق لعقله العنان لا يمكن أن يرتقي روحيا... وهنا إشارة لطيفة أيضا إلى دور غض البصر... فالنظر عامل اساسي في اثارة العقل... وهذا أعلمه من نفسي فأنا عندما أغض بصري أشعر بصفاء روحي عجيب والعكس عندما أضعف وأطلق بصري أشعر وكأن جمودا قد اعترى قلبي!... لذلك لا تتعجب أن القرآن الكريم رغم أنه كتاب يهتم بأساسيات الأمور والرؤية الكبرى للأمور ذكر موضوع غض البصر، وفي ذلك إشارة إلى أن غض البصر (من الأساسيات) لمن أراد أن يرتقي بروحه... (ملحوظة: غض البصر على المرأة كما أنه على الرجل... فالبنات اليوم أيضا يطلقون عنان أبصارهم وخيالهم على الممثلين والفنانين وكل سنة يتصدر فنان – موضة – تتحدث عنه الفتيات... وأنا أكتب هذا الكلام،

فإن موضة الفتيات حاليا هو – مهند – في مسلسل نور التركي... وفي هذا أيضا تدمير لروح الفتيات دون شعور حتى وان كان مجرد كلام عادي لا ينتج عنه عمل ولكنه كلام وخواطر تخدش الروح كما يخدش الحديد صفاء المرآة).

■ وكنا قد أنشأنا مدرسة لهؤلاء. وكان بينهم أربعة أو خمسة من المسلمين. وقد ساعدتهم دائما وشجعتهم على التمسك بجميع شعائرهم الدينية. وعنيت بأن أراهم يقيمون صلواتهم الدينية. وكان ثمة صغار مسيحيين وبارسيين أيضا، ولقد اعتبرت من واجبي أن أشجع كل فئة منهم على اتباع دينها.

وهكذا فقد أقنعت صغار المسلمين، خلال ذلك الشهر، بأن يؤدوا صوم رمضان. وكنت قد عزمت، طبعا، على أن أؤدي أنا صوم البرادوشا، ولكني سألت الآن صغار الهندوس والبارسيين والنصارى أن يشاركوني في ذلك. وأوضحت لهم أن من الخير دائما أن يشارك المرء غيره في أيما مسألة من مسائل إنكار الذات. ورحب كثير من نزلاء المزرعة باقتراحي. ولم يحذ الصغار الهندوسيون والبارسيون حذو صغار المسلمين في التفاصيل كلها، فلم يكن ذلك ضروريا. كان على صغار المسلمين أن لا يفطروا إلا مع الغروب، في حين أن الآخرين لم يفعلوا ذلك، وهكذا كان في ميسورهم أن يعدوا المآكل اللذيذة لأصدقائهم المسلمين وأن يخدموهم على المائدة. كذلك لم يكن يتعين على الهندوس

وغيرهم أن يظلوا إلى جانب المسلمين عندما كان هؤلاء يتناولون وقعة طعامهم الأخيرة قبل أن يرتفع الضحى من اليوم التالي. وطبعا فإن الجميع باستثناء المسلمين، كانوا يجيزون لأنفسهم شرب الماء. (p.348)

أقول: ما معنى كلمة (احتوااااء)؟؟ ما فعله غاندي أعلاه هو احتواء لكل المعتقدات (في مسائل انكار الذات) وطالما أنه موضوع لا ينافي الثوابت لدى غاندي... أتمنى أن أرى هذا الاحتواء (والاحترام) من المسلمين لأصحاب الديانات الأخرى... فالمسيحي عندما يصوم (الصيام الخاص به) فعلى المسلم أن يحتوي ذلك وليس في ذلك معصية فصيام المسيحيين لا ينافي أي تعليم من تعاليم الإسلام ويجب أن نتذكر أن صيامهم أيضا منزّل من عند الله فهو منزّل على المسيح والمسيح نبي ورسول!! ونجد إشارة إلى ذلك أيضا في القرآن لنوع مختلف من الصيام حيث قالت مريم ﴿... إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ فكان صيام مريم صياما عن الحديث!! إذن فالصيام (وهو كبح الذات) بكل أشكاله مفيد وهو سنّة موجودة في كل الأديان وفي كل العصور... فبدلا من أن يجادل المسلمون غيرهم أن صيامنا خير من صيامكم ويعيبوا على الآخرين فينفروا الناس منهم فليجربوا فن الاحتواء (طالما أنها في أمور ليست مخالفة لصميم ديننا الإسلامي).

- إن الصيام لا يستطيع أن يلجم الشهوة البهيمية إلا إذا أُدي على ضوء من كبح الذات. والواقع أن بعض أصدقائي وجدوا أن الصيام قد استثار، آخر الأمر، شهوتهم البهيمية وشهوتهم إلى الطعام. ومعنى هذا أن الصيام عبث لاطائل تحته إلا إذا كان مصحوبا بتوق موصول إلى كبح الذات. والأبيات الشهيرة التي ينطوي عليها الفصل الثاني من الـ"باغافادجيتا" تستحق أن يشار إليها في هذا المقام:

إن الأشياء الحسية تختفي من أمام
ناظري الصائم الذي يكبت حواسه خارجيا
ولكن هذا النوع من الصيام يترك التوق في مكانه.
أما حين يكتحل الصائم برؤية الكائن الأعلى
فعندئذ يختفي التوق نفسه.

وإذن فالصيام والأنظمة المماثلة وسيلة من الوسائل المؤدية إلى غاية هي كبح النفس، ولكنها ليست كل شيء. وإذا لم يرافق الصيام الجسدي صيام عقلي فلا بد أن ينتهي ذلك الصيام إلى الرياء والهلاك. (pp.683 - 583)

أقول: لا تعليق بعد ما قيل أعلاه... هذه رسالة لكل مسلم يصوم في شهر رمضان!

- **إن المدرِّس المقيم على مبعدة أميال من تلامذته قد يؤثِّر في روحهم بطريقة الحياة التي يصطنعها. فلو قد كنت كذوبا إذن لكان من العبث الذي لا طائل تحته أن أعلِّم الأطفال التزام الصدق. والمعلم الجبان لن يفلح أبد الدهر في جعل غلمانه شجعانا، والجاهل للكبح الذاتي لايستطيع عمره كله، أن يعلم طلابه قيمة كبح الذات. وهكذا رأيت أن علي أن أكون أمثولة حية سرمدية للفتيان والفتيات العائشين معي. وهكذا أصبحوا هم معلِّمي، وتعلمت أن أكون صالحا وأن أحيا حياة مستقيمة، ولو من أجلهم فحسب. وأستطيع أن أقول أن الكبح والضبط المتعاظمين اللذين فرضتهما على نفسي في مزرعة تولستوي كان الفضل فيهما، في الأعم الأغلب، لأولئك القاصرين الذين كنت وصيا عليهم. (pp.293-393)**

أقول: إلى كل من يستغرب أو يستهجن حال الشباب اليوم، أقول له أنظر إلى الأهالي وإلى المدرسين وإلى حالهم ولن تستغرب؟!!!... يعني عندما أسمع طفل في الرابعة من عمره يشتم بأقبح الشتائم فمن أين تعلمها؟؟؟ نفس طاهرة بريئة من أين لها أن تعرف هذه الكلمات

القبيحة؟؟؟ إما من الأهل في البيت أو من المدرّسين!!! العنف المنتشر في المدارس من أين تعلّموه؟ من الأب الذي يضرب ومن المدرسة التي لا ترحم!!... يأتي الأب وفي فمه سيجارة ويقول لولده: يا ولد التدخين مضرّ لك!! أي مسخرة هذه في التربية؟!! اذهبوا وانظروا إلى بعض المدرّسين كيف يتجمعون كل ليلة في محلات الشيشة إلى منتصف الليلّ!!! ثم نتساءل ليش الطلاب يشيّشوا ويسهروا!!! سبحان الله!! زرعنا بذور السهر فكيف لا نحصد سوى شباب يعشق السهر... زرعنا بذور العنف فكيف لا نحصد سوى شباب يعشق العنف؟؟! وهل يمكن لمن يزرع بذور التفاح أن يحصد شجرة منجا!!؟؟ صباح الخير بالليل!!

الفقرة أدناه من أروع ما قرأت في هذا الكتاب فأرجو قراءتها بتمعن... اقرأوا ما كتبه غاندي عندما علم بأن اثنين من تلامذته في المدرسة التي أنشأها أذنبوا في فترة غيابه!! اقرأوا واسمحوا لأعينكم أن تدمع من هذا الرقي الفكري الذي قلما رأيت مثله!!!

- في تلك الأيام كان علي أن أتنقّل ما بين جوهانسبورغ وفونيكس. وذات يوم، فيما كنت في جوهانسبورغ، تلقيت نبأ سقوط اثنين من نزلاء "الأشرم" أو "الزاوية" سقوطا أخلاقيا. ولو كان النبأ يتصل بإخفاق ظاهري لنضال "اللاعنف" أو تقهقره لما صدمت تلك الصدمة العنيفة، ولكن النبأ الذي بلغني سقط عليّ سقوط الصاعقة. وفي اليوم نفسه ركبت القطار إلى فونيكس، وأصر كالينباتش على الذهاب معي. كان قد لاحظ الحالة التي كنت فيها، وما كان ليجيز لنفسه أن يتركني أمضي وحدي، إذ اتفق أن كان هو ناقل الخبر الذي أثارني هذه الإثارة كلها.

وخلال الرحلة بدا واجبي واضحا في عينيّ. لقد شعرت أن الوصي أو المعلم مسؤول، إلى حد ما على الأقل، عن زلة قاصره أو تلميذه. وهكذا بدت

لي مسؤوليتي عن تلك الحادثة بيّنة كالشمس في رائعة النهار. وكانت زوجتي قد حذرتني قبل ذلك من مثل هذه النتيجة، ولكن طبيعتي المبنية على الثقة بالناس حملتني على تجاهل تحذيرها. وشعرت أن الطريقة الوحيدة التي تحمل المذنبين على إدراك محنتي وعمق السقطة التي ترديا فيها تقتضيني أن أقوم بشيء من التكفير. وهكذا فرضت على نفسي صوم سبعة أيام، ونذرت أن لا أتناول غير وقعة طعام واحدة طوال أربعة أشهر ونصف. وحاول مستر كالينباتش أن يثنيني عن عزمي، ولكن على غير طائل. وأخيرا أقر بصوابية التكفير، وأصر على مشاركتي فيه. ولم أستطع مقاومة مودته الصريحة.

وشعرت بأن ذلك قد سرى عني كثيرا، لأن القرار الذي اتخذته أزاح حملا ثقيلا عن ضميري. لقد سكن غضبي على المذنبين وأفسح المجال لأصفى الإشفاق عليهما. وهكذا وصلت إلى فونيكس وقد زايلني الغيظ، فأجريت تحقيقا إضافيا ووقفت على بعض التفاصيل الأخرى التي كنت راغبا في معرفتها.

وآلم تكفيري القوم جميعا، ولكنه نقى الجو. لقد أدرك كل امرئ أي فظاعة ينطوي عليها كون

الإنسان آثما، وغدت الرابطة التي تشدني إلى الفتيان والفتيات أقوى وأصدق.

وليس هدفي أن أستنتج من هذه الحوادث أن الواجب يقضي على المدرس باللجوء إلى الصيام كلما بدا من جانب تلاميذه تقصير أو إثم، ولكني أعتقد أن بعض المناسبات تدعو فعلا إلى اصطناع هذا العلاج الخشن. ولكنه يفترض مقدما وضوحا في الرؤية وجدارة روحية. فحيث لا حب حقيقي بين المعلم والتلميذ، وحيث لا يمس تقصير التلميذ كيان المدرس نفسه، وحيث لا يحترم التلميذ مدرّسه يكون الصيام في غير محله، بل قد يكون ضارا. ومع أن ثمة مجال للشك في صوابية الصيام في مثل هذه الحالات فإنه ليس ثمة ريب في مسؤولية المعلم عن خطأ تلميذه. (pp. 397-396)

أقول: يا الله!!!! هذه القصة على قصرها أتمنى أن تعلق في جميع غرف المدرّسين! وأتمنى أن تعطى لكل مدرّس قبل استلامه أمانة التدريس!!! أرجو القراء.. أرجوكم صوّروا هذه القصة واهدوها لأي مدرس تعرفوه!! فهذه من أعلى الدرجات التي يمكن للمدرّس أن يصل إليها وهي شعوره بالمسؤولية تجاه تقصير تلاميذه بل ومعاقبته نفسه على تقصيرهم!!!

■ **إن المرء الذي تتحكم به الأهواء قد يكون ذا نيات طيبة، وقد يكون مصدّقا أمينا ولكنه لن يبلغ الحقيقة أبد الدهر. (p.400)**

أقول: وهنا قول الحبيب: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به...) أي لا يكمل الايمان إلى إذا أصبح الهوى نقياً!!

لن أختم بكلامي ولكن سأختم هذا الكتاب بكلام غاندي والذي لخّص فيه بجملة رحلة بحثه عن الحقيقة، وهي رحلة الكل يشترك فيها مسلمون كانوا أو غير مسلمين...

- الكل يبحث عن الحقيقة ويبحث عن السلام الداخلي الذي يودي به إلى علاقة وثقة مع الخالق... بلغني الله وإياكم هذه الحقيقة ليس لتكون فكرة في عقولنا ولكن لتكون تجربة حية في كياننا تنغمس في كل ذرة من ذراتنا... آمين... ولكي يرى المرء "روح الحقيقة" الكلية الشاملة كل شيء، وجها لوجه، يتعين عليه أن يحب أحقر الكائنات حبه لنفسه. والرجل الذي يطمح إلى ذلك لا يستطيع أن يعتزل أي حقل من حقول الحياة. وهذا هو السبب الذي من أجله قادني تعبّدي للحقيقة إلى حقل السياسة. وأستطيع أن أقول من غير أدنى تردد، ولكن في اتضاع كامل، أن أولئك الذين يزعمون أن الدين لا علاقة له بالسياسة لا يعرفون معنى الدين.

إن الاتحاد مع أيما شيء حي مستحيل من غير تطهّر ذاتي. ومن غير تطهّر ذاتي يظل التزام قانون الاهيمسا حلما فارغا. إن الله لا يمكن أن

يدركه امرؤ ليس طاهر القلب. وإذن فالتطهر الذاتي يجب أن يعني التطهر في جميع مجالات الحياة. ولما كان التطهر معديا إلى حد بعيد، فلا بد أن يقود تطهير المرء نفسه إلى تطهر ما حوله. ولكن سبيل التطهر الذاتي شاقة ووعرة. ولكي يبلغ المرء الطهارة الكاملة يتعين عليه أن يتحرر من الهوى تحررا مطلقا في الفكر والقول والعمل، وأن يسمو فوق تيارات الحب والبغض، والكلف والاشمئزاز المتعارضة. أنا أدري أن نفسي ما زالت بعيدة عن الفوز بهذه الطهارة الثلاثية على الرغم من سعيي الموصول في سبيلها. وهذا هو السبب الذي من أجله لا يستخفني إطراء العالم لي: الواقع أنه كثيرا ما يلذعني لذعا. إن التغلب على الأهواء الخفية ليبدو أصعب في نظري من فتح العالم بقوة



السلاح. ومنذ عودتي إلى الهند وأنا أواجه أهواء راقدة محجوبة في ذات نفسي. ولقد أشعرتني معرفتي لهذه الأهواء بالذل والحقارة، وإن لم تشعرني بالهزيمة. لقد آزرتني الخبرات والتجارب وأوقعت في نفسي جذلا عظيما. ولكني أعلم أنه لا يزال أمامي طريق وعرة يتعين علي أن أجتازها. يجب أن أختزل نفسي إلى الصفر. وما دام المرء لا يجعل نفسه، طوعا وعن طيب خاطر، في المرتبة الأخيرة بين أبناء جلدته فلن ينعم بالخلاص.

وإني إذ أودع القارئ، موقتا على أية حال، أسأله أن يشاركني في الدعاء إلى رب الحقيقة أن يمنحني نعمة الاهيمسا (مبدأ اللاعنف) في الفكر، والقول، والعمل. (p.577)

رحلتي إلى الهند

الحب

أعتبر رحلتي إلى الهند هي رحلة البحث عن الحب.. أريد أن أعبد الله عن "حب". أريد أن تتحول عباداتي من طقوس أقوم بها لمجرد العادة أو لمجرد الخوف من النار إلى عبادة أقوم بها لأني "أحب" الله. وبالمناسبة هذا هو معنى "إله". ففي اللغة العربية "أله الفصيل" (وهو ابن الناقة) أي ناح الفصيل إلى أمه شوقاً لها وحبّاً، ويحصل ذلك له عندما يفطم عن الرضاع. وأيضا تابعة لكلمة "إله" كلمة "وله" أو "ولهان" وهي كلمة يستخدمها الشباب والبنات كثيرا في لغة الحب (ولهت عليك، ولهانة عليك... إلخ). إذا مدار كلمة "إله" تدور حول شدة المحبة وشدة الاشتياق. وقالوا الوله = ذهاب العقل لفقدان الحبيب!!! هذا هو المقام الرفيع الذي أسعى إليه، وهو المقام الذي وصل إليه الحبيب محمد ﷺ عندما كان يردد "أرحنا بها يا بلال"، فالصلاة كانت "راحة" نفسية، وروحية، وجسدية، وقلبية له، وكان "يحبها" ولم يكن يفعلها تأدية واجب فقط.

لاحظ نفسك إذا صليت صلاة العشاء قبل أن تخرج إلى سهرة مثلا، ثم عند العودة نسيت أنك صليت العشاء ثم تذكرت، ماذا تقول؟ هل تقول "الحمد لله صليت قبل ما أطلع" أو شيء من هذا القبيل؟ هل تشعر عند عودتك من السهرة أنك ارتحت أنك "خلصت" الصلاة قبل خروجك؟؟

هذا دليل أن الصلاة "همّ" بالنسبة لك وليست متعة.. هي "حمل" وتأدية واجب. وإلا لو كانت متعة لكنت قلت "نفسي أصلي لما أرجع، اشتقت إلى الصلاة"!! طبعا أنا هنا لا أتحدث عن الفقه وأن الصلاة بدري أولى، فهذا مؤكد، ولكن أتحدث عن أعماق القلب.. لا أتحدث عن مقام المسلم العادي، فهنالك بليون ونصف من هؤلاء. وإنما أتحدث عن مقام الصِّدِّيقين!! وهو مقام أنا شديد البعد عنه، ولكن بلا شك أطمح إلى الوصول إليه يوما ما..

وسأتابع وأسرد وأحكي قصة رحلتي في البحث هذه للجميع حتى يستفيد الكل، ولن أتحرّج عن ذكر أخطائي وهفواتي والمصاعب والسقطات التي سأواجهها، لأني بشر، وعلى الناس أن يدركوا أني بشر ولست كاملاً، فالكمال لله. وليس لمجرد أن لي برنامجاً تلفزيونياً أو لأني أكتب الكتب معناها أني منزّه عن العيوب... فكفانا تقديساً للناس ولنبدأ باحترام بشريتنا وصراعاتنا، حتى نصل إلى أقرب درجات الكمال، وهي درجة الصديقين!

البداية

منذ سنين وأنا أفكر وأبحث وأنوي خوض تجربة "الخلوة" – الانقطاع عن حياتي اليومية وعن عملي لفترة من الزمن. أخلو فيها بنفسي لأغذي روحي. ومنذ عدة أشهر بدأت أبحث في الإنترنت عن منتجعات متخصصة في اليوغا وفن التأمل. لماذا؟ لأني أشعر أني غارق في

الحياة اليومية السريعة. امتصتني مشاغل الحياة وشهواتها حتى لم يعد لروحي مكان! أغذي عقلي وجسدي ومتطلبات نفسي كل يوم، ولكن روحي؟ حتى الصلاة لم يعد لها طعم! وأصبحت روتين يؤدى فقط لتأدية الواجب وأصبحت أخرج من الصلاة كما دخلت!

روحي جائعة تريد أن تتغذى. وفي اعتقادي أن "الخلوة" هي خير غذاء لها.

بحثت في الإنترنت عن منتجعات متخصصة في التأمل والخلوة، فصعقت أن الكل لديهم منتجعات، كل الأديان وكل التوجهات من مسيحية ويهودية وبوذية وهندوسية - حتى الذين ليس لهم دين لديهم منتجعات، إلا نحن المسلمين!! ما العمل؟ قررت أن الحكمة ضالة المؤمن وأن كل التوجهات فيها أمور مخالفة ولكن فيها أيضا أمور مفيدة قد أستفيد منها في تغذية روحي. كنت أقرأ كتاباً جميلاً لـOsho وهو كتاب فيه قليل من "التخبيص" ولكن فيه العديد من الحكم. ففي نهاية الكتاب كان هنالك عنوان موقع إنترنت لمنتجع في الهند متخصص في اليوغا والتأمل. فقررت زيارة الموقع، وفي أيام قررت الحجز والذهاب إلى المكان.

قرارات (متى)

السؤال الأول الذي واجهني هو متى؟! فقد كنت في وسط تصوير برنامج "لو كان بيننا" في يناير 2008 وسأبدأ

التحضير لخواطر (4) في فبراير 2008 فمتى يمكنني الذهاب؟ فقررت أن هذا الأمر من الأولويات ويجب أن أوجد له الوقت!!

فالوقت ما هو إلا وعاء نملؤه بما نريد وإذا أردنا شيئا أوجدنا له الوقت وإذا لم نتحمس لشيء وضعنا الوقت كعذر أو حجة لعدم القيام به. وهذه هي خلاصة نظريتي في الوقت! فتحدثت مع فريق عمل "لو كان بيننا" ورتبنا الأمور بحيث يتم الانتهاء من التصوير في 28-1-2008 وضحت للجميع أن علينا الالتزام بالمواعيد لأني في 29-1-2008 سأذهب إلى الهند! وقمت بحجز الطائرة + غرفة في المنتجع من 29–1 إلى 8–2 – عشرة أيام كاملة.

قرارات

طبعا الهدف هو البعد عن جو العمل ومشاغل الحياة اليومية فكان علي اتخاذ بعض القرارات حتى تجني الرحلة ثمارها. وكان أول القرارات عدم أخذ جهاز الـ"لابتوب" معي إلى الرحلة وعدم استخدام الـ"إيميل" بتاتا. قرار صعب لأن كل حياتي وعملي وتواصلاتي عبر اللابتوب وبدونها سأنقطع عن العمل.. ولكن أليس هذا هو المطلوب؟ القرار الثاني هو عدم أخذ جوالي معي! وكان هذا قرارا أصعب من الأول!! فماذا لو كان هنالك حالة طوارئ؟ ماذا لو أراد أحد الموظفين أو العاملين معي استشارتي في بعض المسائل؟ لدي عدة مشاريع تحت التنفيذ وكلها

يحتاج قرارات وتواصل مع الجميع، فمن أندلسية إلى عمل المؤسسة إلى تحضير مونتاج برنامج "لو كان بيننا" إلى تصاميم أغلفة بعض الكتب التي تحت الطباعة و... مشاريع كثيرة فكيف أترك الجوال؟؟ فكرت وقلت في نفسي أني إذا أخذت الجوال معي في الرحلة فكأني لم أفعل شيئا! فالمشاغل ستستمر والعمل سيستمر وسأنشغل عن تغذية روحي التي من أجلها قررت السفر! ثم إني لا أذكر أني في حياتي منذ ظهور اختراع الجوال أن ابتعدت عنه أكثر من يوم!! أهلي عارضوا الفكرة وقالوا خذه معك وأغلقه. ففكرت ووجدت أن إغلاقه لن يفيد وأنها خدعة أخدع بها نفسي لأني متأكد إذا أخذته معي فسأفتحه في وسط الرحلة وستخدعني نفسي لفتحه فقط للاطمئنان على سير العمل ثم للإتصال بفلان وعلان وهكذا أعود إلى حيث كنت.. فرفضت اقتراح أهلي وقررت عدم أخذ الجوال ووعدتهم بتطمينهم عني فور وصولي الهند بإذن الله.

تحضيرات السفر

بدأت التخطيط لفترة غيابي وتأكدت قدر المستطاع أن كل أمور العمل سليمة وكل شخص يعلم مهامه وأهدافه في فترة غيابي. وأوضحت للجميع أني لن أكون متواجداً بتاتا لا على الإنترنت ولا على الجوال لمدة عشرة أيام.

قمت بإعداد الإيميل بحيث يعطي رسالة تلقائية بغيابي ورتبت إعدادات الجوال بعمل رسالة صوتية تقول

أني لن أكون متواجداً حتى فبراير (8). وليلة السفر أغلقت الجوال ووضعته في درج في المنزل مودّعاً صديقي العزيز الذي لم يفارقني يوما منذ اختراعه!! قمت بتجهيز الشنطة بملابس خفيفة وعدد من الكتب التي أنوي قراءتها ومستلزمات الرياضة، حيث أن هنالك "جيم" في المنتجع، والرياضة أمر مهم بالنسبة لي. لا أستطيع حتى الآن الإقلاع عنه لفترة طويلة...

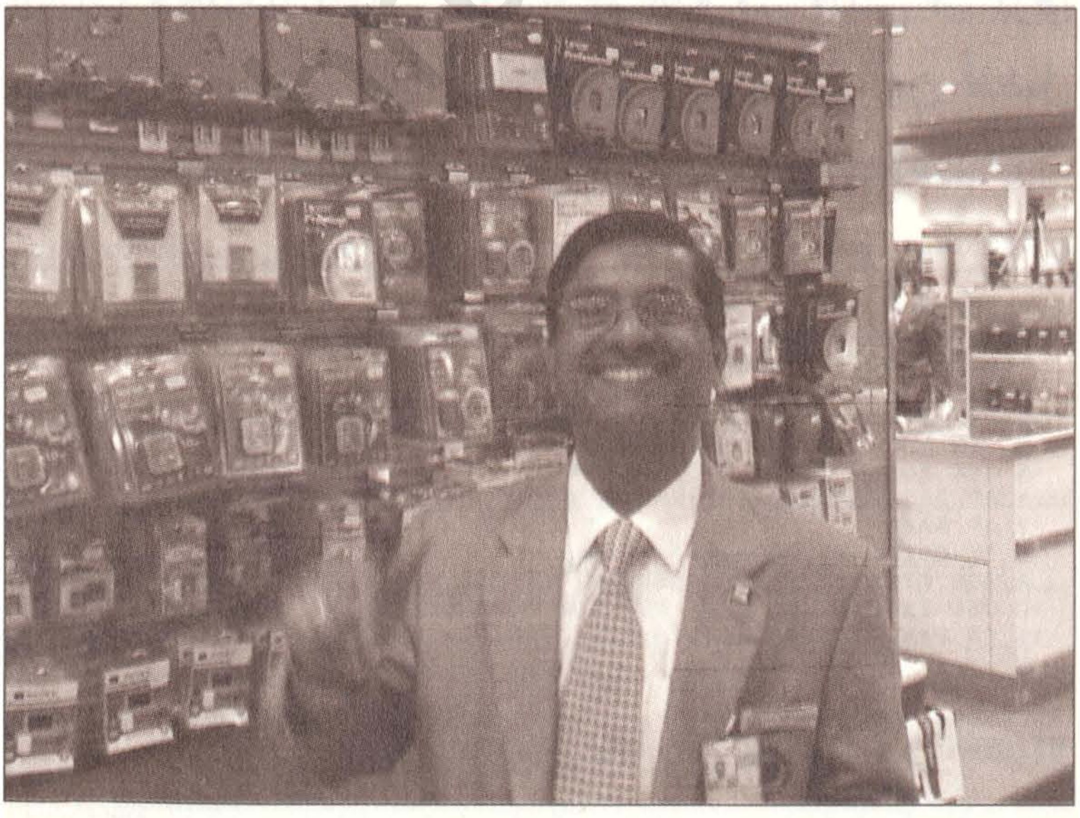
السفر

أول الملاحظات (الإيجابية) والتي لاحظتها منذ ذهابي إلى المطار هو نوع من أنواع الراحة النفسية، أو كأن "ثقلاً" عادة يكون معي ليس موجوداً وهو الجوال!! عقلي معتاد أن أنظر إلى جوالي في كل لحظة ملل! وعقلي معتاد أن ينتظر مكالمات وأن أتحدث مع من أريد أول ما يخطر ذلك في ذهني... ولكني الآن كلما جاء خاطر الجوال أتذكر أنه ليس معي! فأشعر بشعور غريب من الحرية وكأني لست مرتبط به! كما أني لاحظت خفة في جيوبي لم أعتدها من قبل. فكل فترة أشعر كأن شيئاً ناقصاً في جيبي، ثم أتذكر أنه الجوال الذي قررت تركه في المنزل!! بدأت أشعر منذ أول ساعات ذهابي إلى المطار أني مدمن لشيء اسمه الجوال، وهو إدمان لم أكن ألاحظه ولم أعتقد أنه عندي. الشيء الجميل أني من أول ساعات الرحلة بدأت أشعر أني أعالج هذا الإدمان وأني أتحرر منه.

صعوبات

رحلتي كانت من جدة إلى دبي ثم بعد خمس ساعات في مطار دبي أتوجه بعدها إلى "مومباي".

وأنا في المطار واجهت أول صعوبة وهي أن جاءني خاطر تعليق معيّن على شعار برنامج "لو كان بيننا" أردت تغييره.. ولكن عندي مشكلة، فلا جوال ولا إنترنت لإبلاغ المسؤولين في جدة عن تعليقي!! همم.. ما العمل؟ فقررت أن أستثني لمرة واحدة قاعدة الإنترنت فأرسل إيميل من كمبيوترات المطار إلى المسؤول بالتعليق.. سألت نفسي: هل هذا أول بوادر فشل مهمة "الخلوة"؟ ولكن قلت أنها ستكون آخر مرة، وعند وصولي إلى الهند فلن أستخدم الإيميل حتى وإن جاءتني خواطر حول العمل! وأتمنى أن لا يكون هناك إنترنت في المنتجع!



البائع في مطار دبي اشتريت منه كرت ذاكرة للكاميرا

في المطار

باقي على رحلة مومباي ساعة وأنا حاليا في مطار دبي وتدور في بالي عدة تساؤلات! هل سأستفيد من هذه الرحلة أم أنها تضييع وقت؟ هل سأجد في المنتجع ما أتوقعه أم أن الدروس الملقاة هناك ستكون سخيفة لا فائدة لها؟ هل سأصمد لعشرة أيام كاملة هنالك؟ أحيانا أخاف أن أقرر عدم الاستمرار في المدة وتغيير الحجز والعودة باكرا!!

سبب خلوتي هو تحقيق "سلام داخلي"، أن أتحرر من قيود الدنيا! أن أخرج الدنيا من قلبي! أن أغذي روحي... أن أتعلم التحكم في أعصابي وفي رغباتي وأسيطر عليها... فهل سأحقق كل هذا في هذه الرحلة؟ هل سأعود إنسانا مختلفا؟ أتمنى ذلك! أدعو الله من قلبي أن يرى جهدي في بحثي عن "الحقيقة"، وفي بحثي عن أفضل الوسائل للتقرب إليه، فيهديني إلى صراطه المستقيم...

```
--- TST RLR ---
RP/JEDC32101/JEDC32101           JB/SU  20JAN08/0904Z   ZBWEIN
  1.ALSHUGAIRI/AHMADMR
  2  EK3806 F 29JAN 2 JEDDXB RR1     N  1215 1545    *1A/E*
  3  EK 500 F 29JAN 2 DXBBOM RR1     1  2230 0245+1  *1A/E*
  4  EK 505 F 08FEB 5 BOMDXB HK1     2  0945 1130    *1A/E*
  5  EK 803 F 08FEB 5 DXBJED HK1     1  1645 1845    *1A/E*
  6 AP JED 6677987 6677988 - INTERCONTINENTAL TRAVEL - A
  7 AP BABU
  8 TK OK20JAN/JEDC32101//ETEK
  9 SSR OTHS 1A RITL/ PLS ADV TKT NOS BY 26JAN08 12 15 JED LT
 10 OSI EK PAX LCL CTCT TEL NUM 0504499644
 11 FA PAX 176-5662364016/ETEK/SAR4094.00/20JAN08/JEDC32101/7120

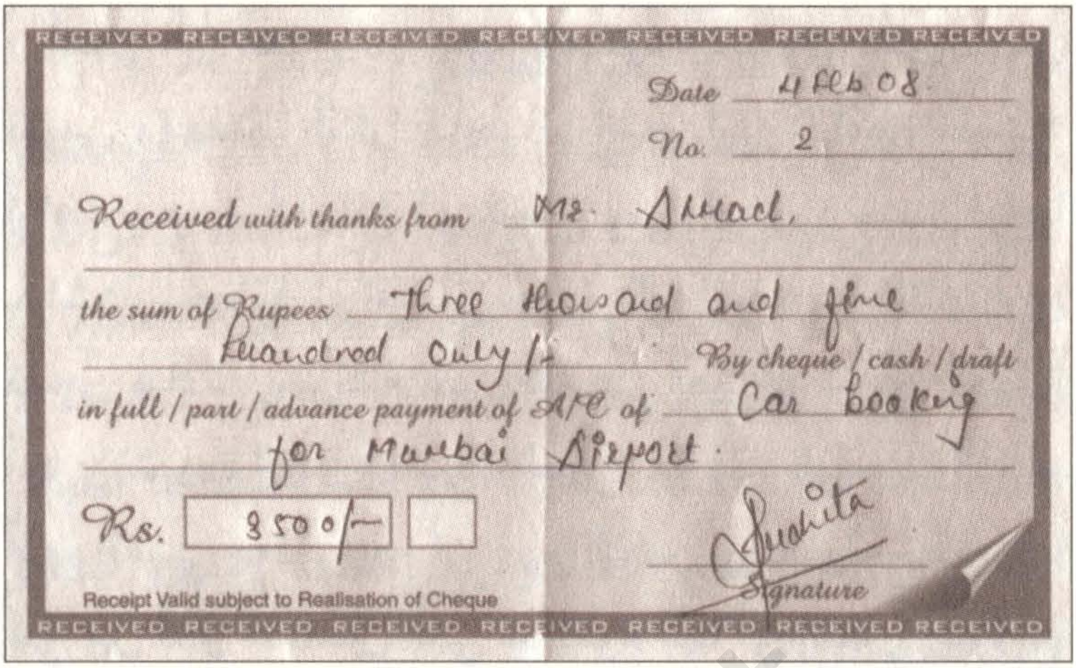
RP/JEDC32101/JEDC32101           JB/SU  20JAN08/0904Z   ZBWEIN
EK/GFGF3N
>                         bhant 91 2009371078266
```

تذكرتي من جدة إلى مومباي مروراً بدبي حيث وصلت الثالثة صباحاً

أتمنى أن أخرج من هذه العشرة أيام وقد تقربت من نفسي وفهمتها أكثر! فأحيانا أشعر أني لا أفهم نفسي!! أراها سعيدة أحيانا ثم فجأة حزينة دون سبب! أراها خاشعة أحيانا ثم فجأة بعيدة كل البعد عن الله! أرى نفسي هادئة متوكلة على الله في أحيان، ثم في أحيان أخرى شديدة القلق وشديدة الجزع! ما هذه النفس! والله لم أفهم نفسي بعد وأرى أن فهم النفس ومحاولة تطويرها هي من أجلّ الأعمال التي قد يقوم بها أي إنسان. فها أنا ذا أؤثّر في ملايين الناس عبر شاشات التلفزيون، ولكني أشعر أني غير قادر على التأثير على نفسي التي بين جنبيّ! فما هذا التناقض!! أتمنى أن أخرج من هذه الرحلة وأنا أكثر إخلاصا لله وأكثر خشوعا وأكثر فهما للحياة!

الوصول

وصلنا بعد رحلة مضطربة في الطائرة الساعة الثانية والنصف ليلا إلى مطار "مومباي"... مطار مستواه دون المتوسط. وقد كان من المفترض وجود سيارة في انتظاري لتأخذني إلى مدينة "بونا" والتي تبعد ثلاث ساعات بالسيارة من "مومباي". وقد حرصت على حجز سيارة لأني كنت قلقا قليلا من مسألة السفر في السيارة ليلا في بلد لا أعرفها. وكانت المفاجأة عدم وجود أحد بانتظاري! ذهبت إلى أحد الشركات خارج المطار لحجز سيارة واستشرته هل الطريق آمن في الليل أم من الأفضل



RECEIVED RECEIVED RECEIVED RECEIVED RECEIVED RECEIVED RECEIVED

Date 4 Feb 08

No. 2

Received with thanks from Mr. Ahmad,

the sum of Rupees Three thousand and five hundred only/- By cheque / cash / draft

in full / part / advance payment of A/C of Car booking for Mumbai Airport.

Rs. 3500/-

Receipt Valid subject to Realisation of Cheque

Signature

RECEIVED RECEIVED RECEIVED RECEIVED RECEIVED RECEIVED RECEIVED

ايصال استلام إيجار السيارة المشؤومة من مطار مومباي إلى بونا

أن أبقى في مومباي وأذهب في الصباح التالي؟ فقال: "دونت ووري سير.. زى رود إز فيري قود". توكلت على الله وطلبت سيارة ودفعت ثلاثة آلاف روبية (حوالي 90 دولار أمريكي). خرجت فوجدت السيارة في حال يرثى لها، والسائق في سابع نومة. فاستيقظ وصب على وجهه ماء. ثم جاء المسؤول واستأذن أن يذهب شخص آخر معنا! وهنا بدأت أضطرب قليلا وينتابني الشك.. ولكني وافقت على مضض. ركبنا السيارة. وأخذ السائق يحاول إشغال السيارة فلا تشتغل. وبعد خمس دقائق من المحاولات، دارت السيارة ومضينا إلى "بونا". وفي أول خمس دقائق في الطريق توقفت السيارة مرة أخرى وأخذ السائق يحاول إشغالها دون فائدة. وجلسنا نصف ساعة كاملة!! (بدأت المتاعب واحنا لسة بنقول صباح الخير يا هند!!) وقلت: لماذا لا نطلب من الشركة سيارة أخرى؟ فقال: "دونت

ووري سير، زا كــار ويــل وورك أوكــي". وبــعـد محاولات مضـنـيـة اشـتـغلت السيـارة، وحـاولت إقـنـاعـه بـالـعودة واستبدال السيـارة، لكنه طمأنني أن السيـارة ستعمل بشكل سليم.. الصراحة لم أكن مطمئناً، ولكني وافقت (ولاأدري لمـاذا وافقت)، وبدأنـا السير.

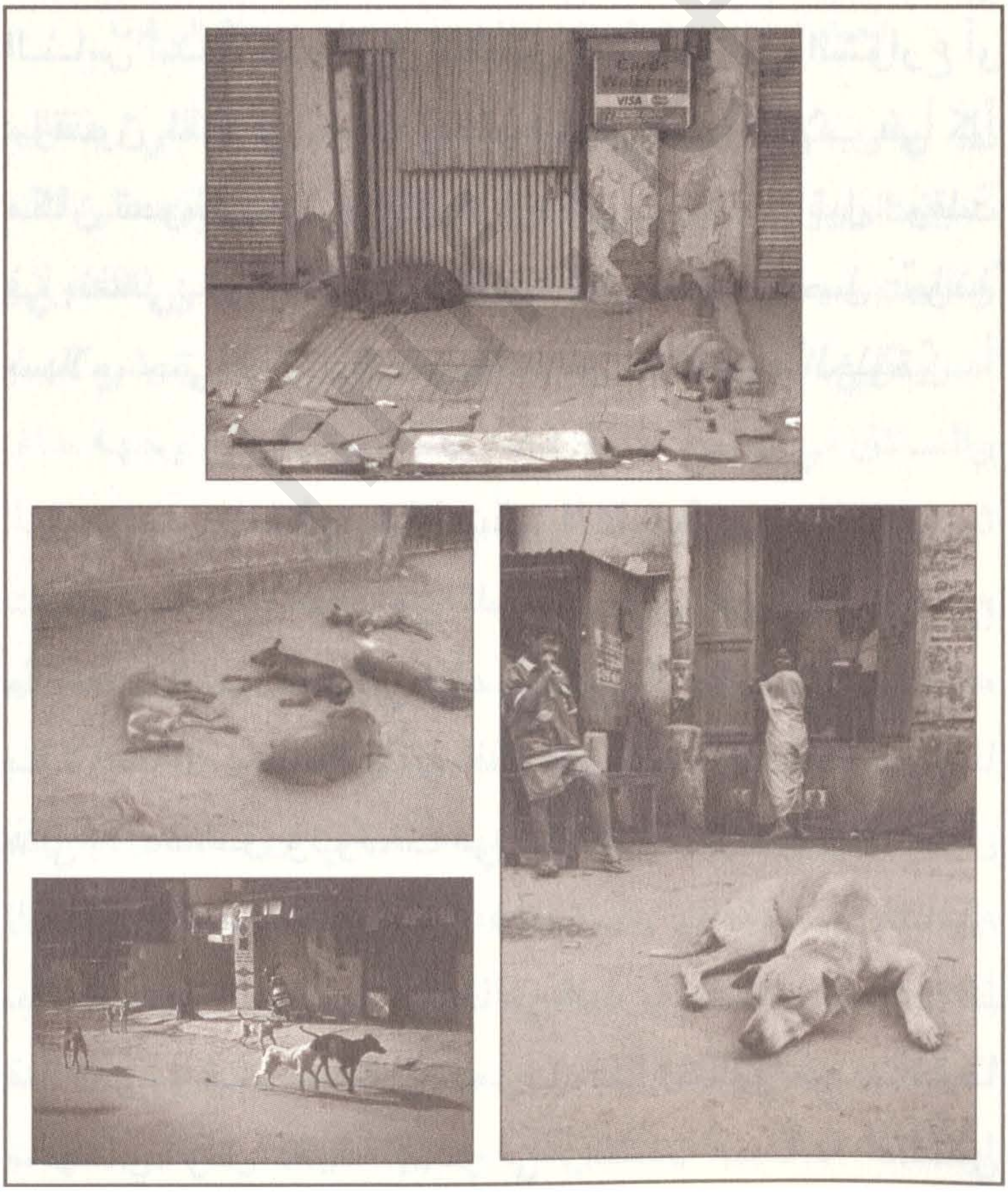
أول الطريق

فـوجئت بشوارع خـارج المطـار سيئـة لـلـغـايـة، ووضـع الـنــاس أسـوأ. كـثير مـن الـنــاس نــائـمـون في الشوارع أو موقدون نـاراً في جنب الشارع للتدفئة! والكلاب في كل مكان تحوم وتعول بشكل لم أره في مدينة من قبل!! وقلت في نفسي: "ربنـا يعدي الرحلة على خير ونصل "بونـا" بسلام، حتى أركز على مـا جئت من أجله من "الخلوة"!

في منتصف الطريق

بعد ساعة ونصف من المسير، بدأنـا السير في شارع مـرتـفـع، أو صـاعـد إلى الأعـلـى في طـريق مظلم ومـلـيء بـالشاحنـات. وفـجـأة بدأت السيـارة "تنتع" وتضطرب. ومـا هــي إلا دقــائـق وتـوقـفت في مـنـتـصـف الـطـريق!!! حـاول السائق تشغيلهـا لكن دون فـائدة. ثم بعد خمس دقـائق، جـاءت سيـارة ووقفت أمـامنـا في الطريق المظلم وحطت الــ "فـلاشـر"، وجــاء الســائق نـحـونــا.. بـدأ يـتـكـلـم مـع سـائـقـنـا بـالـهندي، وكل دقيقة ينظر لي ويبتسم ابتسامة أقلقتني

جدا وجعلتني متوتراً! ثم بعد دقيقتين من الكلام، خرج السائق فجأة واتجه هو والشخص الذي معه نحو بابي لفتحه. الصراحة هنا بدأ القلب يدق بشدة وبدأت أخاف. وصدف أن الاثنين وهما متجهين نحوي وضعا أيديهم على أحزمة البنطلون. فما وجدت إلا عقلي بدأ يلخبط، وما أدري لماذا في هذه اللحظة شعرت أنهما متجهين نحوي لإخراجي من السيارة واغتصابي!! لا أستطيع تفسير تلك



اللحظة، ولكنها كانت مفزعة. وفتح أحدهما بابي وقال بالإنجليزي: "يلا الآن تذهب في السيارة الثانية لتأخذك "بونا". أنا انفجعت وخفت وخرجت من السيارة وكانت ركبتاي ترتجفان. وأعني "ترتجفان" حرفيا.. فبعد خاطرة الاغتصاب جاءتني خاطرة أنهما يريدان سرقتي. فلماذا وقفت السيارة الثانية في منتصف الطريق؟ ولماذا نظر إلى السائق وتبسّم تبسّماً غير مطمئن؟ ولماذا يتطوع أحدهما لأخذي في وسط طريق سريع ومظلم في منتصف الليل!! كلها أمور جالت في عقلي في ثوان، جعلتني أكره اليوم الذي قررت فيه الذهاب إلى الهند. وفعلا شعرت أن حياتي مهددة بالخطر. حاولت إقناع السائق أن نبقى ونحاول إصلاح السيارة، ولكنه قال: "دونت ووري سير، هي ويل تيك يو نو بروبلم"..!! ثم قال لي سائق السيارة الجديدة أن معه راكب قادم من دبي. وكانت هذه أول لمحة فرج أن الأمر ليس كما كنت أتخيل! فذهبت للسيارة للتأكد من الراكب، فكان راكب حسن الهيئة والملبس ومعه عدة شنط في الخلف، فسألته عن الرحلة التي جاء فيها للتأكد من الأمر، فأجابني. وهنا ذهب ما كان بي من خوف...

سبحان الله، الإنسان عند الخوف تختلط أموره ولا يستطيع التفكير بشكل سليم! لعل رحلتي هذه تعلمني القدرة على السكينة والصفاء الذهني وعدم سرعة الانفعال مع الأحداث.

وأخيرا وصلنا.

وصلنا "بونا" في حدود الساعة السادسة فجرا، وقمت بعمل الـ"تشيك إن" في المنتجع، ودخلت غرفتي حامدا الله أن يسر الوصول!

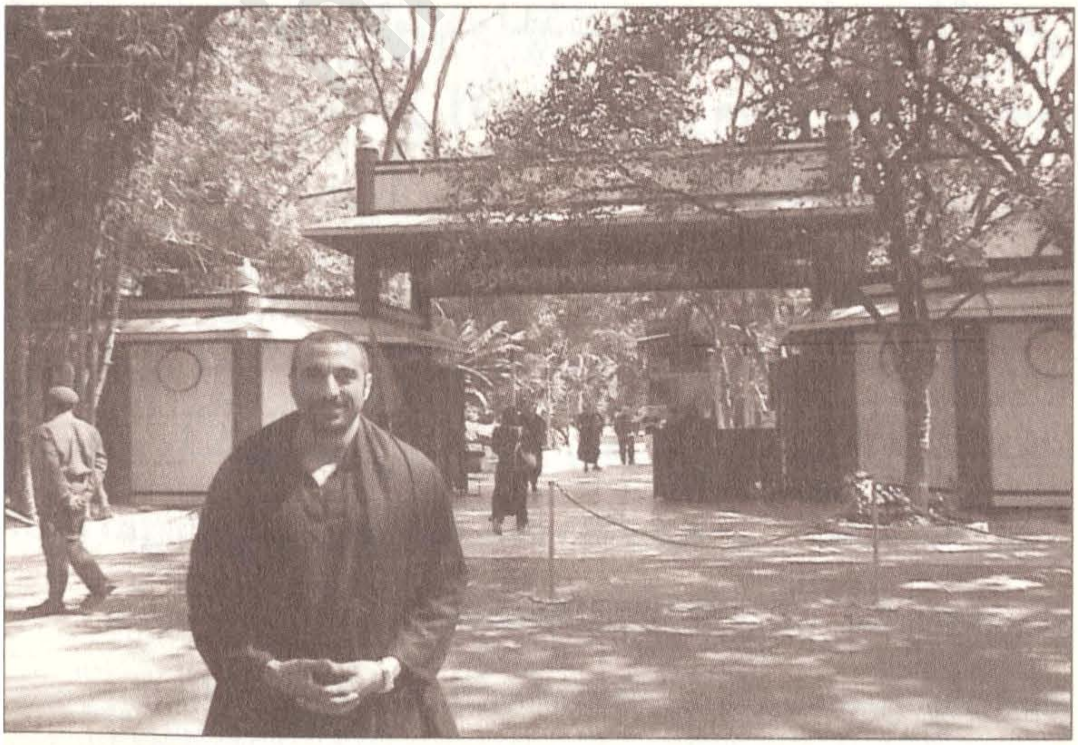
اليوم الأول (30 يناير)

لم أنم طوال الليل، وعند وصولي صليت الفجر ونمت فورا في حدود السابعة، حيث كان علي الاستيقاظ في التاسعة للانضمام للمجموعة الجديدة والتي يقومون بتعريفها بالمكان والنظام فيه. المنتجع عبارة عن أرض واسعة كلها خضار وأشجار وبعض المسابح الصناعية بالإضافة إلى المباني التي تقام فيها دورات التأمل ومباني السكن والمطعم. الكل عليه في الصباح أن يلبس "روب أحمر" ولا يسمح التجول في المكان بغيره (لا أدري السبب). وفي الليل على الجميع ارتداء "روب أبيض". عند الدخول يتم عمل اختبار "إيدز". أيضا لا أدري لماذا.. ومن ثم يتم التسديد لأخذ بطاقة الدخول اليومية للمنتجع. عدينا الاختبار والحمد لله، وقمت بشراء بطاقة الدخول للعشرة أيام التي سأبقى فيها.

من الأمور التي لم تعجبني وأقلقتني قليلا هو كثرة وجود النساء، والكل لابس نفس الروب الأحمر وهو في بعض الأحيان لا يكون محتشم! فكان قلقي في موضوع القدرة على غض البصر. فأنا من ضمن أهدافي للخلوة

تقوية القدرة على غض البصر بشكل عام. ولكن فكرت وحوّلت الأمر إلى أمر إيجابي وقلت أنها فرصة أكبر لتقوية المناعة وتقوية عضلة غض البصر. فلو لم توجد هذه المناظر كيف يمكن لي أن أقوي عضلة غض البصر؟! فعزمت على أن تكون هذه واحدة من أهداف الرحلة.

بدأت أتجول في المكان وأتعرف على الدورات والنشاطات الموجودة فيه، وقررت الاشتراك في دورة بعنوان "من في الداخل". وهي دورة لمدة أربعة أيام متواصلة، من الساعة السابعة صباحا إلى الساعة الحادية عشر ليلا. هدفها الغوص في أعماق النفس ومحاولة فهم من أنت؟؟ بدون أقنعة وبدون مظاهر... هذا فهمي المبدئي للكورس، وسأسرد لكم تجربتي فيه عندما أدخله إن شاء الله. ستبدأ الدورة بعد غد، يوم 1 فبراير إلى 4 فبراير.



خارج باب المنتجع مرتدياً الروب الأحمر المفروض على الجميع ارتدائه في المنتجع



خارج باب المنتجع

توجد مكتبة فيها كل إصدارات "أوشو". فقمت بشراء كتاب The Path of Meditation (الطريق إلى التأمل). وقد انتهيت من فصله الأول، وأخذت منه معلومة جميلة وهي أن التغيير لا يحصل إلا إذا أصبح ضرورة في النفس وحاجة. أما أن أحب أن أتغير لكن دون حرقة للتغيير، فهذا عادة يؤدي إلى الفشل.

ويقول الكاتب أن التغيير أولا يأتي في العقل الواعي بقرار، ولكن حتى ينجح يجب أن ينتقل إلى العقل اللاواعي. ويعطي طريقة لنقل الإرادة إلى العقل اللاواعي بأن تربط هذا التغيير بعقلك اللاواعي لكي يصبح ضرورة.. كيف؟ يقول اختر أمرا تريد أن تحصل عليه ثم اختر جملة تعبّر عن هذا التغيير. خذ نفسا عميقا واحبسه،

وفي هذه الأثناء، كرر الجملة في ذهنك وأنت حابس نفسك. ثم عندما تبدأ تشعر بعدم ارتياح ابدأ بالزفير ببطء وكرر الجملة في ذهنك، حتى إذا اعتقدت أنه لا يوجد نفس باقي لإخراجه، أخرج نفسا، فستجد أنه لا يزال يوجد. ثم خذ زفرة أخرى وكرر الجملة، واستمر هكذا حتى آخر قدرة لك، واكتم نفسك حتى تشعر بعدم ارتياح واستمر في تكرار الجملة، حتى تضطر إلى أخذ شهيق!! ما يفعله هذا التمرين هو ربط الجملة بحالة الضرورة التي يشعرها العقل اللاواعي لأخذ النفس، ويرتبط التغيير بالعقل اللاواعي. أنا اخترت جملة "أنا الآن أغض بصري الحمد لله". ويقول الكاتب أن تكرر هذا التمرين خمس مرات يوميا، قبل النوم وعند الاستيقاظ. جربت التمرين الآن، ولا أدري إن كان سينجح أم لا، لأني أحتاج تكراره على مدى أيام. لكني وجدت فيه فائدة لطيفة، وهي تذكيري بالموت! سبحانَ الله، شعور إخراج الزفير إلى آخر حد يعطيك شعوراً بالموت، ويذكرك فوراً بألم الموت. وهذه فائدة عظيمة أن يتحول ذكر الموت إلى شعور، وليس فقط ذكر. وهذا الشعور يزيد من تأثيره على النفس. وصدق الرسول إذ يقول: "أكثروا من ذكر هادم اللذات".

ملحوظة: لا أنصح باستخدام هذا التمرين لأنه أتعبني بعد يوم من ممارسته وشعرت بعدم ارتياح في نفسي وصدري في الليل فتوقفت عنه.

صدمات

أول صدمة كانت الـ"جيم". حيث أنه عبارة عن غرفة صغيرة فيها جهاز لا يسمن ولا يغني من جوع. وبالنسبة لي الـ"جيم" أمر أساسي. لذلك أول خاطرة جاءت على بالي هي أن أقصّر فترة بقائي وأعود بعد أربعة أيام، وإلا فجسمي سيتأثر وسأنحف كثيراً. (أنا من النوع إذا ما تدربت أنحف – عكس الناس – والنحف الزائد يسبب لي شعوراً نفسياً سلبياً، وهذا بسبب فترة المراهقة التي كنت فيها نحيفاً جداً ومحل "تريقة" الأصحاب). فبعد بدئي التدريب وتعديل جسمي أصبح مثل الإدمان، فإذا لم أذهب لفترة أشعر بإحباط وعدم استقرار.

على أي حال فكرت في الموضوع قليلاً، وألغيت فكرة العودة المبكرة. وأقنعت نفسي أن هذا ليس سبباً كافياً



للعودة مبكرا. وبعدين حتى أجد السلام الداخلي الذي أبحث عنه هذه فرصة لخلخلة "الكلاكيع النفسية" اللي عندي. فعدم وجود جيم اعتبرته محطة لإعادة تقييم هذا الأمر في حياتي وارتباطي الشديد به. هنا صار عندي 4 أمور: الابتعاد عن الجوال – الابتعاد عن الإنترنت والإيميل – الابتعاد عن الجيم – الابتعاد عن النظر. ورأيت أن العشرة أيام القادمة فرصة رائعة لفك ارتباطي النفسي بهذه الأمور.

الصدمة الثانية كانت في الجلسة التعريفية للمنتجع مع الأعضاء الجدد، حيث كان أول شيء تقوم به المجموعة الذهاب إلى غرفة واحدة ثم البدء بالرقص! الكل يقوم ويرقص!! كنت أعرف أن الرقص موجود في المنتجع وأنه جزء من نظام التأمل عندهم لأنه يخرج الطاقة السلبية من الجسم، ولكن كنت أتوقع أنه في دورات معينة وليس على الجميع القيام به!! المهم شاركت في الرقص (على مضض) وقلت لنفسي طالما أني أحرك جسمي (لوحدي) ولا يوجد احتكاك مع أحد فلا بأس!! مرة أخرى المسألة عندي كانت فيها موازنات عديدة. فأحاول أن أوازن بين الأمور التي لا تعجبني وبين تجربة الأمور الجديدة الأخرى (التأمل الصامت) والتي قد تفيد في رحلتي للبحث عن السلام... وهنا أحب أن أؤكد للقارئ أن هذه ليست رحلة تقليدية وأؤكد أني لا أؤمن وغير مقتنع **ببعض** الأمور فيها، ولكني أيضا مقتنع ومتأمل أن **البعض** الآخر قد يكون مفيد. لذلك وجب التنويه أني لست أدعو ولا أؤيد

الرقص الجماعي، كما أني لا أدعو ولا بالضرورة أؤيد أن يذهب شاب إلى مكان فيه الكثير من الاختلاط. فمرة أخرى هي تجربة خاصة بأحمد الشقيري، وأكتبها هنا كي يستفيد القارئ من كل ما فيها من إيجابيات وسلبيات.

نظام عجيب

يوجد كل يوم مساء تأمل جماعي يحضره كافة الناس الموجودين في المنتجع، ومن أنظمة الحضور التالي: (1) لبس أبيض بالكامل، حتى الشراب يجب أن يكون أبيض (2) يمنع على النساء التعطر (3) يمنع على النساء لبس ملابس قصيرة أو كشف الصدر بشكل ملفت، فعليهن أن يلبسن لباس يستر (إلى حد ما) (4) وعلى الجميع الاستحمام قبل الحضور، لتجنب الروائح الكريهة (5) يمنع استخدام الجوال.

نظرت في هذه الأنظمة وقلت في نفسي: سبحان الله.. الإنسان إذا كان على الفطرة لا بد أن يتبع "المنهج الإسلامي". فهؤلاء لا يؤمنون بدين معيّن ومع ذلك وضعوا نظام ستر المرأة وعدم وضع عطر، لأن هذه الأمور قد تشغل الرجال عن التركيز في التأمل!!! ومنعوا الرائحة الكريهة أيضا لأنها تشغل عن الخشوع في التأمل. وصدق حبيبي محمد ﷺ حين منع آكل الثوم من دخول المسجد النبوي لكره الرائحة، مما يؤثر على خشوع الناس!

اليوم الثاني (31-1-2008) كلمة

جملة جميلة قيلت في إحدى الدورات التي حضرتها: "لا يكفي أن تسمع لـ "بوذا"، فلن تتذوق الحقيقة حتى تصبح الـ"بوذا"". أعجبتني لأني في لحظتها استشعرت معنى جميل، وهو أنه لا يكفي أن نؤمن بمحمد ﷺ، ولا يكفي أن نحبه، ولا يكفي أن نحفظ أحاديثه ﷺ، ولكن يجب أن يصبح كل واحد منا "محمد". أي يجب أن يجسّد كل واحد منا محمد. فلا يكفي أن نقرأ "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"، ولكن يجب أن نجسّد نحن هذه الرحمة وأن نشعر بها. لا يكفي أن نقرأ عن حلمه وصبره في المصائب، ولكن يجب أن نجسّد نحن هذا الحلم. لا يكفي أن نقرأ عن حسن خلقه وعن روعة تعامله مع الناس ولكن يجب أن نجسّد نحن هذا التعامل في أنفسنا. اكتشفت للحظة واحدة من أكبر مشاكل المسلمين اليوم.. أننا نحفظ أحاديثه ﷺ، ولكن لا نعيشها!!!! أننا نحبه ﷺ ولكن لا نفهمه!!!! إلى أن تصبح أنت "محمد" كل حسب قدرته، لن تجد السلام الداخلي. وإلى أن يجسد المسلمون "محمد" اليوم في القرن الواحد والعشرين، فلن يؤثروا على البشرية، وسيبقوا عالة على الكرة الأرضية!!

بداية سلام

اليوم عصرا بدأت أشعر ببوادر سلام داخلي وارتياح وحرية. عقلي أصبح لا يفكر بالجوال! عقلي لم يعد يفكر

بالإيميلات! وهذا أشعرني بأن قيداً قد ذهب عن عقلي وأعطاه حرية التفكير في نفسي وفي روحي، وأعطى عقلي صفاء أفضل للتأمل والتفكر.. شعور جميل أتمنى أن يستمر وأن يزداد مع كل يوم يمضي في هذه الرحلة.

صداً مخي!!!

في الليل كنت في الغرفة، وكنت أريد أن أقوم ببعض الحسابات للمصاريف. وبما أني ليس معي جوال فلم يكن لدي أي وسيلة لعمل الحسابات آليا. فبدأت بتنفيذها على ورقة وقلم. قمت بعدة عمليات "ضرب"، وفجأة شعرت بأيام المدرسة.. من زماااان على عمليات الضرب. فاكرين (ستة وفي اليد واحد)!!! ثم أردت أن أقسم بعض الأرقام على بعض، وهنا كانت المفاجأة! لقد نسيت كيف أقوم بعملية القسمة!! كنت أريد تحويل 21000 روبية إلى دولار، فكان علي قسمة 21000 على 38. فكتبت الجملة زي زمان، لكني بعدها تنحت!!! لم أتذكر أبدا ايش اسوي؟!! لا حول ولا



ورقة الألف روبية وتساوي 34 دولاراً تقريباً ويلاحظ صورة غاندي على العملة إلى اليوم

قوة إلا بالله، يعني مع كل فوائد التكنولوجيا، لكن صدى المخ اللي ينتج من الاعتماد الكامل على التكنولوجيا أمر مؤسف!! لما أرجع جدة، أول شيء سأسأل عنه هو كيف أقوم بعملية القسمة!!



الفئات المختلفة للعملة الهندية

في الحب!

في كتاب كنت جالساً أقرأه خلال إقامتي أعجبتني هذه الجملة عن الحب: "أن تحب وأن تبحث عن حب أحد أمران مختلفان تماما. نحن نعيش كالأطفال لأن الكل يبحث عن أحد يحبه! الصغار يريدون أحد يحبهم، وعندما تعطيهم الأم هذا الحب يكبرون. ولكن المشكلة أن هذا الأمر يستمر حتى الكبر. فالزوج يطالب أن تحبه زوجته، والزوجة تطالب زوجها أن يحبها. وهنا تكمن إشكالية كبيرة. فالحب لا يمكن أن يُطلب، **الحب فقط يعطى!** لهذا السبب أغلب الزيجات تحولت إلى جحيم، لأن كل فرد يطالب



يمنع التصوير في المنتجع ولكني استطعت التقاط هذه الصور على السريع من مكان جلوسي للتأمل خلال فترة الإقامة

بالحب دون أن يعرف كيف يعطيه! لو كل زوج ركّز على نفسه وعلى كيفية إعطاء الحب للطرف الآخر لتحوّل الزواج إلى جنة". وهنا أقول كلمة: الزواج المبني على المطالبة بالحقوق حتما سيفشل.. الزوج يقول: أنا الرجال، من حقي إنِك تطيعيني، والزوجة تقول للزوج: من حقي عليك إنَك تهتم فيني... إلخ... الزواج الناجح هو المبني على إعطاء الواجبات وليس على أخذ الحقوق. حيث يركز كل طرف على واجباته هو تجاه الطرف الآخر فقط لا غير. إذا فهم الطرفان هذا الأمر تتحول الحياة الزوجية إلى سعادة.. طيب لو فهمه أحد الزوجين ولم يفهمه الآخر؟ هناك احتمالان: الأول: عودة الطرف الثاني مع الوقت،

الثاني: تمادي الطرف الثاني في الاستهتار واللامبالاة... الاحتمال الأول خير، أما الثاني فإذا كان الطرف الأول فعلا أعطى الحب للطرف الثاني بدون مقابل (وكان صادقاً مع نفسه) فهذا مؤشر ربما إلى أفضلية عدم استمرار الزواج، لأنه تحول إلى استغلال. ولكن هنا السر مرة أخرى أن يكون الطرف الأول فعلاً فعلاً أعطى الحب من كل قلبه وكيانه دون المطالبة بمقابل – صبر واستمر على ذلك سنين – فقط في هذه الحالة يجب النظر في الزواج لأنه تحوّل إلى ظلم. بالمناسبة، في وجهة نظري إن أغلب الزيجات التي لا تنجح، الخطأ فيها على الزوج (الرجل) ولكن هذا موضوع يطول شرحه، وربما أفرد له كتاب خاص يتحدث عن الحياة الزوجية.

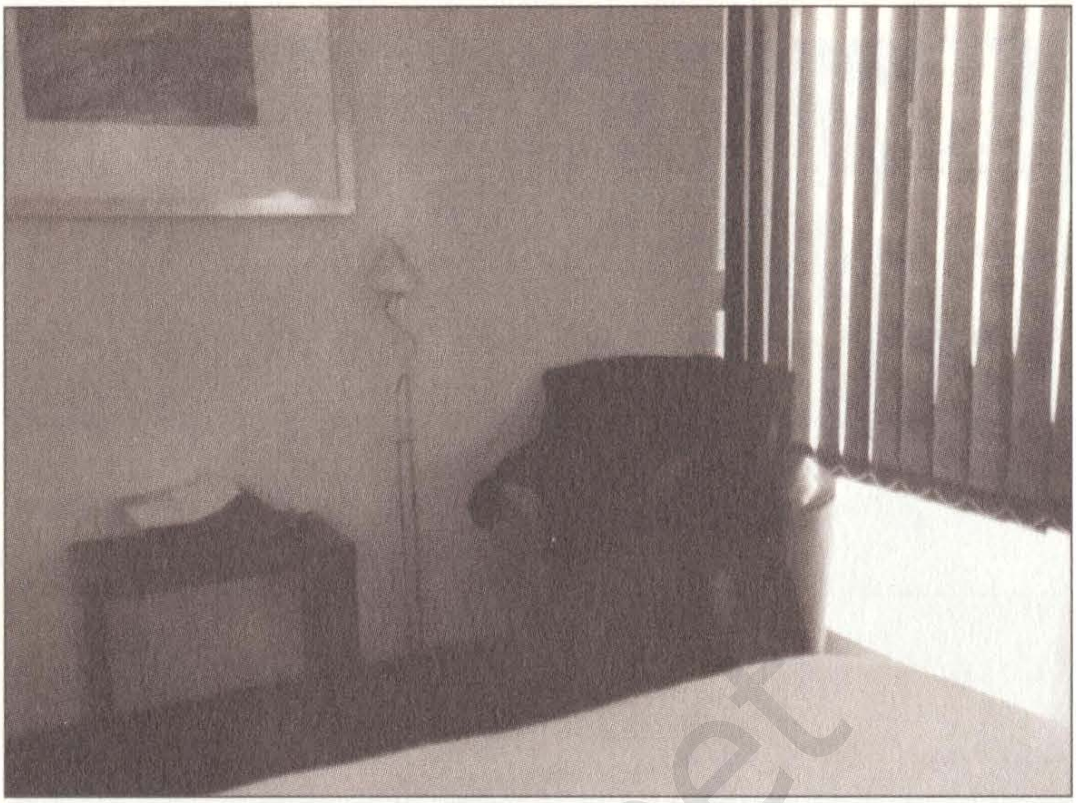


اليوم الثالث (1-2-2008)

اليوم مساء سأبدأ دورة مدتها ثلاثة أيام، اسمها "من بالداخل؟" هدفها التعمق في داخل النفس لمعرفة حقيقتك. يتم نزع كل الأقنعة الاجتماعية والنفسية والفكرية التي تحجب الإنسان عن معرفة حقيقة نفسه. هذا هو التعريف المبدئي للدورة وأتمنى أن تكون مفيدة. أنظمة الدورة: (1) ثلاثة أيام كاملة من الصباح إلى المساء، مع المبيت أيضا في نفس مكان الدورة (2) عدم إحضار أي أوراق أو كتب أو جوال أو أي شاغل آخر (3) إحضار فقط ما تحتاجه من أساسيات الحياة من أمور النظافة والنوم... الهدف هو عزلة تامة لمدة ثلاثة أيام لكي تستطيع الغوص في أعماق نفسك! لن أستطيع الكتابة أثناء الدورة، لكن



الغرفة من المدخل وعلى اليمين يوجد الحمام



الغرفة في المنتجع ويظهر عدم وجود تلفزيون أو تلفون في الغرفة

انتظروني ثلاثة أيام لأحكي لكم تفاصيل الدورة وما حصل فيها.



الحمام ويلاحظ مستوى النظافة العالي في المنتجع بشكل عام لمعرفتهم أن النظافة لها أثر إيجابي على الروحانية

دعاء

دعاء جال في خاطري وأنا أتأمل في وسط الأشجار والشلالات وأرى الناس من حولي قد أتوا إلى هذا المكان من كل حدب وصوب "اللهم اهد كل من في هذا المنتجع إليك! اللهم قد جاؤوا من كل مكان، تاركين ديارهم وأحبابهم بحثا عن السلام الداخلي.. وأنت السلام يا الله، فاهدهم إليك، واهدني وإياهم إلى صراطك المستقيم... اللهم واهدهم إلى نبي الرحمة محمد ﷺ. اللهم واغفر لنا قصورنا نحن المسلمين في إيصالهم إليك وفي تعريفهم بك وبنبيك. اللهم لقد قصّرنا، والله قصّرنا! الناس تائهة ضائعة تبحث عن الحقيقة في كل مكان، وقد قصّرنا في إيصال حقيقتك إليهم. فسامحنا، واعف عنا، واغفر لنا، وأعنّا على أن نصحو من هذا السبات العميق. وأعنّا أن





نستشعر المسؤولية تجاه هؤلاء المساكين. اللهم عفوك ومغفرتك وعونك! اللهم ارزقنا حلاوة الإيمان لكي نذيقه لغيرنا يا الله".

خاطرة

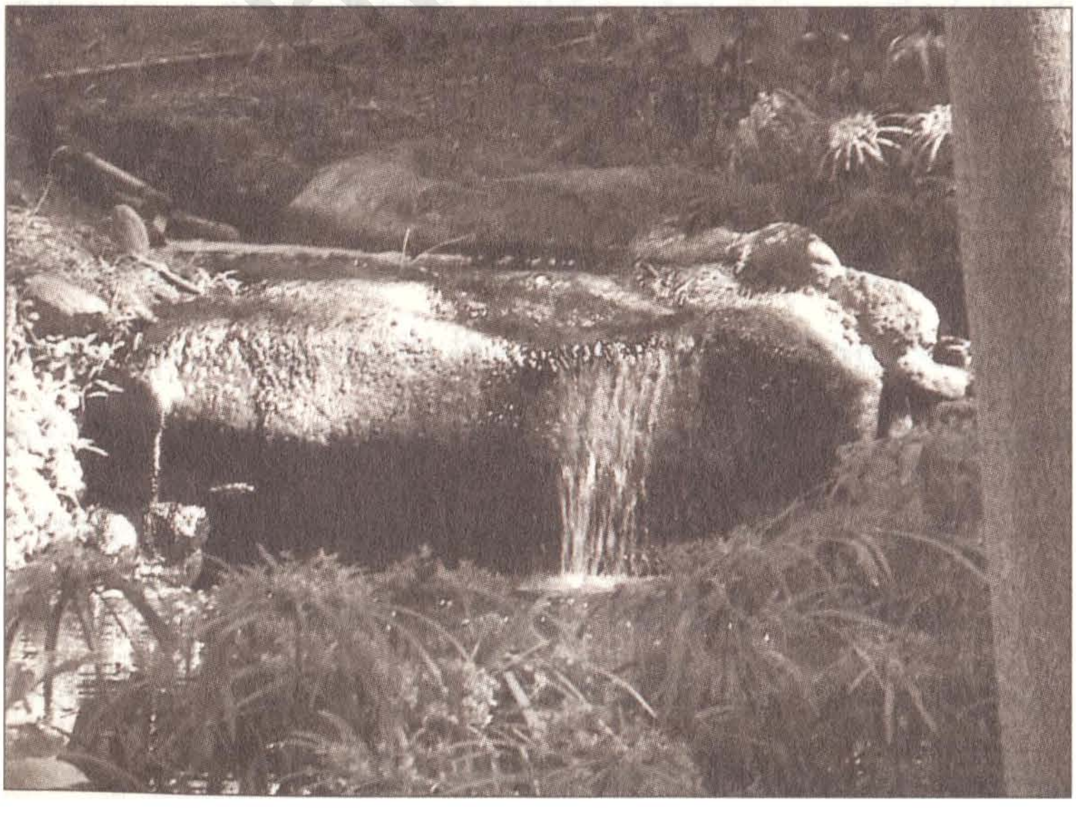
في إحدى الكتب التي أقرأها حاليا في فترة الخلوة كلمة جميلة للكاتب: "الملحدون في العالم لم يضروا الدين كثيرا، وكذلك علماء الكيمياء والفيزياء وغيرهم، لم يضروا الدين أيضا. أكثر من أضر بالدين هم علماء الدين أنفسهم. هؤلاء هم الذين شوّهوا الدين ولم يوصلوا جوهر الدين إلى الناس". كلمة جميلة من كاتب غير مسلم، ذكّرتني بكلمة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله "إن انتشار الكفر والظلم في العالم يحمل نصف أوزاره متدينون، بغّضوا الله إلى

خلقه بسوء صنيعهم وأفعالهم" سبحان الله!! لجوء الناس من كل أنحاء العالم إلى هذا المنتجع أكبر دليل على ضعف (بعض) رجال الدين في إيصال جوهر الدين إلى الناس! قلت مرة لأحد المشايخ: لماذا لا تقيمون منتجعاً متطوراً متحضراً يأتيه الناس من كل مكان لتعلّموهم كيف يصلوا إلى جوهر الإسلام، كيف يتعاملوا مع متاعب الحياة؟ كيف يصلوا إلى السلام الداخلي؟؟ لقد بحثت في الإنترنت عن منتجعات قبل مجيئي إلى هنا فوجدت أن الكل لديهم منتجعات في كل أنحاء العالم، إلا نحن المسلمين! اليهود، البوذيون، الهندوس، المسيحيون، الملحدون.. كلهم لديهم منتجعات يلجأ إليها من يريد الهروب من مشاغل الدنيا ويحصل على سلام داخلي، إلا نحن المسلمين! قد يقول قائل: لدينا مكة والمدينة، يمكن أن يذهب إليها من يريد ليحصل على السلام الذي تتحدث عنه... أقول نعم، وهي من أكبر النعم، ولكن مكة والمدينة بدون منهج واضح، ستقل فعاليتهما! والدليل انظر إلى عدد الحجيج، كل عام 3 مليون حاج، ومع ذلك حالنا لا يتغير! انظر إلى الحج وكمية القذارة والوساخة التي تراها في منى وفي عرفات!! لقد أصبحت طقوس خاوية من المضمون وبالتالي فتأثيرها أصبح شبه معدوم!! يجب إعادة إحياء مفهوم الروحانية فيما نقوم به من طقوس.. لذلك دعوت الشيخ أن يتم بناء منتجعات إسلامية يلجأ إليها الناس (مسلمون وغير مسلمين) تهدف إلى إعادة الروح وإلى

تغذية الروح في البشر. فالناس والله تعبانة وروحها على وشك الموت، ولا تعلم ماذا تفعل وإلى من تلجأ، وبعض علماء الدين (إلا من رحم ربي) منشغلون في الجدال حول حكم الأغاني وحكم نتف الحواجب، ولا حياة لمن تنادي!!

موحّدون

أغلب من تحدثت معهم في المنتجع ومن مختلف الجنسيات وجدت عندهم إيماناً بوجود الله، أو بوجود قوة خارقة لا يستطيعون تحديدها. وفي نفس الوقت وجدت عندهم نفوراً من ما يسمى بـ"الديانة المنظمة"، سواء كانت مسيحية أو إسلام. ويرى أغلب الناس هنا أن عليهم اكتشاف الحقيقة لوحدهم واكتشاف كيفية التقرب إلى الله لوحدهم، دون الحاجة إلى الديانات، لأنهم قد وجدوا أن





الديانات لم تقرّبهم إلى الله! كنت أحاول دائما بشكل لطيف أن أوضّح لهم الفرق بين الدين وبين الذين يمثلون الدين اليوم. وكنت أحاول أن أوضح أن محمد والمسيح عظيمان وجاءا بالحقيقة، ولكن بعض من يمثلون هذه الأديان السماوية اليوم أساؤوا الفهم ولم يعرفوا كيفية إيصال هذه الحقيقة لعامة الناس. أدعو الله أن يفك الغشاوة عن أعين الناس ليروا المسيح ومحمد على حقيقتهما، بغض النظر عما يفعله اليوم بعض أتباعهما من أعمال وتصرفات لا تمت إلى الإسلام ولا إلى المسيحية بصلة!!!

كارثة

"ديزاستر"... كارثة! وصلنا لمكان اللقاء لدورة "من في



الداخل" في الساعة التاسعة والنصف مساء. كان الحضور في حدود 15 شخص، وكل شخص معه شنطة فيها مستلزمات بقائه للثلاثة أيام المقبلة. بدأ المحاضر بحديث تعريفي عن الدورة ثم كان سماع شريط عن التأمل. الغرفة كانت واسعة شرحة، فيها وسائد على الأرض ومخدة لجلوس كل شخص. وفي المبنى كل ما نحتاجه من حمام وغرفة ملابس وغيرها. ثم شرح لنا المحاضر ما سنقوم به خلال الثلاثة أيام، وهي عبارة عن "تأمل المشاركة"، كل شخص يقابل زميل له ثم يسأل أحدهما الآخر "قل لي من في الداخل". فيبدأ الآخر بالكلام عما يشعر به لمدة خمس دقائق دون مقاطعة، ثم يعكس الدور وهكذا لمدة خمس وأربعين دقيقة. ثم يتم تبديل الزملاء وتبدأ نفس العملية مرة أخرى. هكذا لمدة ثلاثة أيام!! همم.. الصراحة بدأت أقلق! يعني أنا لم أشترك في

دورة ثلاثة أيام بس علشان أحد يفضل يسألني "قل لي من في الداخل؟" كنت أتوقع شوية كلام توجيه، استراتيجية على الأقل للوصول للداخل. على أي حال نمنا في حدود الساعة 12 ليلا واستيقظنا في الساعة الخامسة فجرا، وبدأنا بعمل عمليات تأمل صامتة. ثم بدأت حكاية المشاركة. فجاء أمامي شخص فرنسي وبدأنا في الموضوع "قل لي من في الداخل؟!" لم أشعر بارتياح، وبدأت أفكر في ترك المجموعة مبكرا وعدم الاستمرار. ثم في فترة الإفطار قلت للمدرب أني أنوي الترك، فحاول إقناعي البقاء لآخر اليوم على الأقل لإعطاء فرصة، فقلت له سأرى حتى الغداء. وعدنا إلى جلسات المشاركة، فجاء أمامي شخص كوري، وعند سؤالي له "قل لي من في الداخل؟" بدأ يقول "يا شو تشو يانج هو جي مرنا هي كاي تشي بوجو لاي..." بالكوري!! طلع الأخ لا يعرف إنجليزي. فلا أنا فهمت عليه ايش قال ولا هو فهم علي ايش قاعد اقول!! شرحت الأمر للمدرب فقال لي: عادي ليس بالضرورة أن تفهموا على بعض! في الجلسة اللي بعدها طلعت أمامي واحدة يابانية وبدأت "شي كي يونا تويوتا جي جابركي باي ني تشو... إلخ". فقلت في نفسي خلاااااص "ذات إيز إت" أنا ما تركت بلدي وأهلي علشان أسمع لشخص ماني فاهم منو شيء!! فعزمت بعدها أن أخرج، وفعلا بعدها في أول فرصة خرجت.. "خرج ولم يعد!"

لقاء مع الأستاذ

في نفس اليوم لقيت أستاذ الدورة صدفة، فجاءني وهو معاتب عتاباً شديداً وقال لي: أين ذهبت؟ لقد كان بيننا اتفاق أن تبقى إلى الغداء ولم تبق! لقد أخلفت بالوعد!! الصراحة أحرجت منه فعلا، وقلت له أني فضلت أن أبقى لوحدي فيما تبقى لي من أيام هنا، فقال: كان على الأقل ينبغي عليك أن تبلغني من باب الاحترام! فقلت له: كلامك صحيح، وأعترف أني أخطأت وكان ينبغي عليّ الالتزام بالاتفاق أو على الأقل إبلاغك قبل ذهابي! فقال: عليك أن تستثمر وقتك هنا لمعرفة بالضبط ماذا تريد! لأني أرى أنك محتار! فقلت له: سأفعل، ثم قلت له: أرجو أن تقبل اعتذاري عما حدث، وحضنته!... درسان تعلمتها من هذا الموقف البسيط: الأول: الإلتزام بالعهد والإتفاق حتى لو كان شفهيا، فهذا لا يجعل للناس عليك حجة أو ملامة، الثاني: الاعتراف بالخطأ حين حدوثه بدون حرج وبكل صراحة، فهذا يكسبك احترام الشخص الذي أمامك. فعند اعترافي بالخطأ لاحظت الأستاذ فورا تحوّل من غضب إلى سماحة واحترام! ياريت يكون مبدأ عندنا نحن المسلمين حتى على المستوى السياسي والدولي أننا إذا أخطأنا نقوم بصراحة ونقول هذا العمل خطأ، ولا نبدأ باختلاق الأعذار، فهذا يضيّع من احترام العالم لنا.

الرحمة

من ضمن جلساتي التأملية بعد ترك الدورة جملة مفيدة قرأتها في كتاب بما معناها "إذا أردت أن ترحم الناس، فابدأ برحمة كل شيء غير الإنسان أولاً، مثل الجمادات والنباتات والحيوانات، فهذه رحمتها أسهل من رحمة الناس، وهي مدخل سهل لإدخال الرحمة في قلبك". أثّرت فيّ كثيرا هذه الجملة وأنا أجلس أمام الأشجار والنباتات الخضراء، فبدأت بدون تفكير أزيح الوسخ من على أوراق الشجرة التي أمامي. واستشعرت أن هذه النبتة لا تستطيع أن تنظّف نفسها مما يعتريها من أوساخ وأتربة، فلماذا لا أقوم بذلك عنها رحمة بها. وشعرت بشعور جميل، ثم دمعت عيني عند تذكّر آية في لحظتها وهي قوله تعالى ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾. فاستشعرت عظمة الله وكيف أنه يعرف ويحيط حتى بأقل الغبر الموجود على ورقة شجر في مدينة "بونا" في الهند!! سبحانك ربي...

ثم وأنا أكتب هذه الخاطرة رأيت نملة على الورقة، ففي عادتي عندما يحدث لي ذلك في السابق، إما أن أقتل النملة أو أن أنفخ عليها حتى تذهب لمكان آخر... لكني وجدت نفسي اليوم لا أفعل هذا ولا ذاك. ولكني وجدت

نفسي أتأمل في هذه النملة الصغيرة الضعيفة، ثم وضعت الورقة على الأرض لكي تنزل النملة من الورقة إلى الأرض بسلام دون أن أقتلها ودون حتى أن أبعدها بالنفخ حتى لا أوذيها!! ليس صدفة أن واحداً من أهم رواة الحديث ومن أكبر الصحابة كان يكنيه الرسول "أبو هريرة"، لأنه كان يحمل معه دائما هرة صغيرة! وفي ذلك إشارة إلى عظمة الرسول وعلى أن رحمته المذكورة في القرآن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ هي رحمة ليست فقط للبشر، ولكن لكل الموجودات... جال في بالي خاطر أن أشتري هرة!! رغم أني أكره القطط، ولكني وجدت أن كرهي لها هو خلل في الرحمة في قلبي، وربما لو ربيت هرة تكون سببا في إنزال الرحمة على قلبي! طبعا لا أدري إن كنت فعلا سأفعل ذلك أم لا؟؟ تحتاج اجتماعاً عائلياً مع الزوجة والأولاد لدراسة الأمر من كل الجوانب واتخاذ قرار ديمقراطي!!

تبكير العودة

حيث أني خرجت من الدورة فقد قررت أن أبكر عودتي فأعود 5 فبراير بدلا من 8 فبراير، وأن أستثمر ما تبقى لي من أيام هنا في الخلوة والتأمل في مكاني المفضل في المنتجع أمام الأشجار. وأن أبتعد عن الدورات والجو العام لكثرة الأمور التي لم تعجبني فيه.

كسب القلوب قبل وضع القوانين

هذه قاعدة اكتشفتها هنا في فترة بقائي في المنتجع. رأيت الناس يطيعون كل الأوامر! يلبسون اللبس "الأحمر" خلال النهار والأبيض خلال الليل. يرقصون عندما يقال لهم ارقصوا... يصرخون عندما يقال لهم اصرخوا! يقفزون في مكانهم عندما يقال لهم اقفزوا... ثم يرددون كلمة "أوشو" بصوت عال بين كل فترة وفترة. هذا ما رأيته. هنا أنظمة غريبة بعضها أفهمه ولكن البعض الآخر لا يدخل العقل – ومع ذلك الناس يستجيبون! لماذا؟؟ لأن هذا الرجل "أوشو" ورغم أنه مات عام 1990 إلا أنه كسب قلوب الناس! كسب قلوبهم بكتاباته ومحاضراته وقوة حضوره! فعندما كسب القلوب استطاع أن يضع أي قانون يريده في المنتجع ليجد استجابة الناس جاهزة. رغم أن بعض كلام الرجل فيه "شطحات" وبعض قوانينه أيضا فيها "شطحات" إلا أنه نجح في كسب القلوب فوجد الأتباع يأتونه من كل فج عميق! يوجد اليوم ما يقارب الـ 1000 شخص في المنتجع (بشكل يومي) طوال العام!!! وهذا أعطاني رؤية جديدة لسيرة حبيبي محمد ﷺ. فقد كسب القلوب أولا، ثم سن القوانين والأنظمة ثانيا! كل الذين أسلموا لم يسلموا بسبب "قوانين" الإسلام، ولكنهم أسلموا لأنهم "أحبوا" محمدا ولأنهم "أحبوا" الإسلام. ثم عندما أسلموا وكسب الرسول "قلوبهم" أصبح إتّباع القوانين

سهل. فجاء قانون الصوم وتحريم الخمر وغيرها من القوانين بعد أكثر من 13 سنة من بعثة الرسول...!!

يا ليتنا نفهم هذه القاعدة اليوم. حبذا لو يفهمها الدعاة.. ويفهمها السياسيون!! فوالله لو كسبتم القلوب لاتّبعكم عامة الناس دون الحاجة أحيانا إلى وضع قوانين أصلا. وبالمناسبة "الحدود" في الإسلام لم توضع لعامة الناس، وإنما وضعت للقلة "الشاذة" من الناس. فإذا وجدت أغلب الناس ينتهكون الحدود فاعلم أن الخلل في التربية والخلل في المحبة.. وأن تطبيق الحدود لوحده لن يصلح المجتمع، بل قد يزيد من عتوه وطغيانه! مثال على ذلك قانون تحريم الخمر في أمريكا في الثلاثينيات من القرن الماضي.. فشل فشلا ذريعا وانتهك أغلب الناس الحدود، لأن القانون وضع دون "تربية" داخلية أولا للفرد، فأدى إلى رد فعل عكسي. ولهذا أيضا نجد أن بعض الدول الخليجية وإن كانت تحرّم الخمر، إلا أن نسبة الذين يشربون الخمر من مواطنيها عالية (للأسف لا توجد إحصائيات لكن المشاهد والمتابع لواقع مجتمعنا الخليجي يعلم مدى انتشار الخمر مع الأسف)، لماذا؟ لأن المجتمع أصبح خاوياً روحيا! لا توجد فيه تربية! لا توجد فيه "محبة". فعندما فقدت "القلوب" أصبح "قانونَ" التحريم مثل عدمه، لا يؤثّر في الناس، بل قد يزيدهم ولعاً في الشرب!!! مرة أخرى "كسب القلوب قبل وضع القوانين" قانون جوهري في التغيير، بدونه لن ننجح وبدونه سيكون التغيير (إن حصل) صُوَرياً، وهمياً، هشاً، قد ينهار

في أي لحظة وقد ينهار فور سفر المواطن إلى بلد آخر يسمح بهذه الأمور.

من أنا لأحاسبهم؟؟

في ظل الضياع الذي رأيت الناس عليه هنا، تأتيني حالات مختلفة من المشاعر، فأحيانا تأتيني مشاعر حسنة من الرحمة والشفقة على هؤلاء، وأحيانا مشاعر حمد لله سبحانه أن هداني له وخلقني مسلما من غير حول مني ولا قوة. ولكن أحيانا أخرى أشعر بحالة من الغرور، بنظرة دونية لهم، وأبدأ في داخل نفسي بمحاسبتهم على جهلهم وعلى انغماسهم في الرقص والشهوات والشرب!! فقرأت اليوم آية أراحت بالي وجعلتني أطرد كل خواطر الغرور ومحاسبة الناس على أفعالهم، وهي قوله تعالى مخاطبا الرسول ﴿...فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾. يا الله!! إلهي يقول لرسولي محمد انت بس عليك تبلغ الناس ولا تقعد تحاسبهم على أفعالهم، فهذا من اختصاصات الإله الواحد الأحد!! يا ريت نسيب الناس في حالها (مسلمين كانوا أو غير مسلمين)، ولا نجلس نحكم على فلان وعلان وكأننا أصبحنا آلهة!! حالنا أحيانا كحال الرجلين في القصة، أن رجلا عابرا رأى رجلا عاصيا فقال له: والله لا يغفر الله لك أبدا!! فجاء الاثنان أمام الله يوم القيامة، فقال الله تعالى: من ذا الذي يتألى عليّ!!! أدخلوا العابد النار والعاصي الجنة!!!

فعلا: ما بالنا أخذنا مقعد الإله في الدنيا!؟ يا إخوان دعوا الخلق للخالق!! فما علينا إلا البلاغ... البلاغ فقط. ولاندري في نهاية المطاف من مصيره إلى النار ومن مصيره إلى الجنة فهذه من اختصاصات الله سبحانه وتعالى.

اليومان الرابع والخامس (2 و3 فبراير 2008)

أشعر براحة نفسية وصفاء ذهن لم أشعر بهما من قبل! أشعر أن عقلي كان زي الغرفة المليانة كراكيب وملخبطة ومتسخة ثم قمت بتنظيف الغرفة وترتيبها. أشعر أن عقلي أصبح منظماً وتفكيري في الأمور أعمق.. أشعر أن نفسي حرة! ليست بانتظار مكالمة هاتفية وليست متشوقة لرؤية الإيميلات أو لرؤية آخر أخبار الـ"facebook" وليست منتظرة ثناء أحد أو مدحه.. أشعر بتوازن جميل بين نفسي وفكري وقلبي، وكأن كلهم أصبح منسجما. كثيرا ما كنت أشعر بتناقض وتصارع بين هذه الأجزاء.. لا أشعر بهذا الصراع الآن، وكأن كل ذرة في جسمي تعمل من أجل هدف واحد.. هدف التقرب إلى الله، هدف التأمل في مخلوقات الله. هدف تجديد النية لوجودي في هذه الدنيا ليكون كله لله، ولأكون فعلا كالدعاء "إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين"... ما أكثر شواغل الدنيا، وما أسهل أن تأسر هذه الشواغل قلبك وتمتلكه بل

وتستعبده. والمصيبة أننا لا نشعر بهذا الأسر!! نعتقد أننا أحرار ولكننا عبيد!!

حر أم عبد

هل تعتقد فعلا أنك حر؟؟ فكّر ولا تتسرع في الإجابة! عندما لا تستطيع الاستغناء عن الجوال لدرجة أنك تدخله معك الحمام.. هل أنت حر؟ عندما يحصل لك انهيار عصبي لمجرد مشكلة في الإنترنت تمنعك من دخول الإيميل والـ"facebook" هل أنت حر؟! عندما ينهار يومك وتتلخبط نفسيتك لمجرد تعليق سلبي جاءك من شخص عن شكلك أو وزنك، هل أنت حر؟؟ فكّر وصارح نفسك!! عندما تستيقظ كل يوم كالملهوف وتسرع إلى الشاشة لتعرف أسعار الأسهم، وتنسى الأكل والشرب وتدمر بيتك من أجل الأسهم، هل أنت حر؟؟ عندما تدمن العادة السرية أو الجنس أو الشرب، وتلجأ إلى هذه الأشياء كلما شعرت بملل أو فراغ، هل أنت حر؟؟؟ فكر وأعد النظر! قلوبنا أصبحت عبيدا للدنيا. وبلاش نضحك على أنفسنا ونقول أننا عبيد لله!! هذا مجرد كلام، والكلام سهل. بلاش نضحك على أنفسنا ونقول أننا موحدون.. يمكن صحيح نحن موحدون، ولكن موحدون لشهوة النفس ومتطلبات الحياة... مال، جمال، شهرة، حب لفت النظر، جنس، شراب... نعم موحدون وقلوبنا ممتلئة بهذه الأمور. لاتوجد حرية في هذه الدنيا إلا بفك ارتباط القلب عن هذه الأمور!

وحيث أن القلب يجب أن يرتبط بشيء ولا يمكن له أن يصبح خاليا فيجب فك ارتباط القلب بالدنيا واستبداله بارتباط بالله. والسؤال هو كيف! كيف أفعل ذلك.. سؤال حيّر الملايين، وهو السؤال المطروح منذ خلق الله الإنسان على الأرض... لا أدعي أن لدي الإجابة ولكن لا شك أن "الخلوة" وقطع نفسك عن هذه الأمور لفترة زمنية سيساعدك على الوصول إلى هذا الهدف السامي. فلكل شخص طريق وأداة مختلفة تؤثر فيه، وهذه الأداة يمكن اكتشافها أثناء الخلوة. وقبل هذا وذاك لن نصل قبل أن نعترف أننا عبيد للدنيا، وأننا أسرى، وأن ما نحن فيه ليست حرية. بدون هذا الاكتشاف وهذا الاعتراف، سنظل كالنيام وأتمنى أن نستيقظ من نومنا من تلقاء أنفسنا ولا ننتظر حصول مصيبة لنا والعياذ بالله لكي نستيقظ!!

غض البصر

غض بصري تحسّن كثيرا عن اليوم الأول من قدومي!! مع كثرة فترات الجلوس المنفرد والتأمل أشعر وكأن روحي طغت على جسدي، فأصبحت أرى من حولي، ولكن لا أنظر إليهم! وهنالك فرق. فرؤية الشيء هي أن تقع عينك عليه فقط، أما النظر إلى الشيء فيتبع الرؤية خواطر فكرية حول ما يرى. فقد ترى امرأة أمامك، ولكن عقلك وفكرك لا يسترسل في التفكير والشهوة... سبحان الله، غض بصري اليوم وأنا في وسط مجتمع شبه عاري أقوى منه وأنا في وسط مجتمع مليء بالعباءات!! لقد اكتشفت أن غض

البصر هو في الأصل "غض الفكر"، وهذا ليس له علاقة بمن حولك. فكم من شاب في وسط نساء لا تكاد ترى منهن شيء، ولكن فكره يجول فيما قد يكون تحت العباءة، أو فكره يجول في تلك العين الكحيلة لأنها الشيء الوحيد الظاهر من المرأة!! أعزائي هذه ليست دعوة للتحلل، وليست دعوة لكي تطلق النساء العنان والحرية في اللبس. ولكنها دعوة للمرأة أن تتحجب بمعنى أن تكون فعلا تقية، لا تقصد إغراء الشباب، حتى وإن أظهرت وجهها، فالأمر داخلي.. توجد امرأة مغطاة ولكن تشعر أنها تريد أن تتعاكس، وتوجد امرأة كاشفة ولكن أسلوبها ونظراتها توحي لك "ابتعد"، وتوحي لك بالاحترام لها.

وفي هذا أنقل كلام أحدهم بتحليله الرائع:

دمر "سورداس" عينيه معتقدا أنه بذهاب بصره فإن الهوى والرغبة لن يتملكاه ثانية. إلا أن الرغبة لا تكمن في العين، بل مكمنها العقل. لن ينتهي بهذا هوى أبدا– حتى لو فقأت عينك". – أوشو

"Dhritarashtra is blind. But passion does not disappear with the absence of sight; desire does not disappear with the absence of sight. Had Surdas thought of Dhritarashtra, he would never have destroyed his own eyes.

"Surdas destroyed his eyes believing that once his sight was gone, desire and passion would never arise in him again. But desire does not arise in the eyes, it arises out of the mind. No passion will ever be finished in this way - even if one destroys one's own eyes" - Osho.

"لو فكر "سورداس" بـ"دريتاراشترا" لما دمر عينيه.. "دريتاراشترا" أعمى.. لكن الهوى لا يختفي بغياب البصر، الرغبة لا تختفي بغياب البصر.

البحث

قال أحد شعراء الغرب: الذي يتعلم بالبحث مهاراته سبعة أضعاف من يتعلم بالأوامر.. وهذا واضح حتى في واقع المسلمين. نجد أن الغير مسلم الذي يبحث ثم يسلم له نظرة، وله روحانية، وله إسلام أقوى بكثير وأعمق من إسلام من هو مسلم "بالوراثة" – فرق هائل. وحتى المسلمون بالوراثة الذين تميزوا، تميزوا لأنهم بحثوا وسألوا وتساءلوا ودرسوا وقرأوا. وبعضهم خرج من الإسلام جملة وألحد ثم عاد إلى الإسلام، ولكن بعمق. مثل الدكتور "مصطفى محمود"، وغيره كثير، لكنهم لم يصرّحوا بمرحلة الشك التي اعترتهم... إسلامنا اليوم في أغلب البلاد الإسلامية هو إسلام "أوامر"، هو إسلام "تقاليد". لذلك فهو إسلام شبه ميت أو مغمى عليه!! ولذلك تجد أن أحد الأمريكان الذين أسلموا تحدث عن تجربته عندما ذهب ليسكن في أحد البلاد الإسلامية وكان كله حماس أنه سيعيش بين المسلمين، ثم بعد مرور سنة فقط قال "شعرت أني مكتوم، أني مخنوق، وأن إسلامي سيضيع"!! "فقررت العودة إلى أمريكا حيث أسلمت أصلا، فهنالك على الأقل أستطيع أن أمارس الإسلام بروحانية

بدون عقد وكلاكيع أغلب المسلمين في البلاد العربية"!!! ليتنا نعلّم أطفالنا إسلام البحث والتساؤل، وليس إسلام "الأوامر"، خاصة مع الأطفال، فالأوامر تأتي لاحقا، وستأتي سهلة في حال وجود إسلام وطمأنينة في الداخل.. ألم يقل خليل الرحمن "أرني كيف تحيي الموتى"؟ "قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي"؟ إبراهيم عليه السلام أراد أن ينتقل من الإيمان (أو الإسلام) إلى الطمأنينة، وهي مقام أعلى بكثير، مقام لا يأتي أبدا بالأوامر ولكن بالبحث والرغبة الشديدة بالوصول إلى أعلى درجات القرب من الله.

إلهي

إلهي جئتك من بلاد بعيدة بحثا عنك وعن حبك. وأنت إلهي في كل مكان، والأرض أرضك والعالم عالمك، فلا تخذلني ولا تردني خائبا. اللهم واجعل بحثي هذا خالصا لوجهك الكريم... ارزقني ربي فهم نفسي، فقد قيل "من عرف نفسه عرف ربه". فارزقني اللهم فهما عميقا لذاتي وقربا منك إلهي. اللهم ولا تجعل في رحلتي هذه أي حظ من حظوظ الدنيا إلا واربطه إلهي بنيّة صالحة لك ولخدمة سيد المرسلين وخير البشر أجمعين سيدي محمد. إلهي اهدني صراطك المستقيم... إلهي اهدني خير السبل المؤدية إلى صراطك المستقيم... تعددت السبل وتعددت الطرق باختلاف البشر، لكن كلها تؤدي إلى نفس الصراط. فدلّني

إلهي إلى السبيل والطريق المناسب لي، أنا عبدك أحمد لكي أصل إلى "حبك". إلهي إن سفري هذا ليس قلة إيمان بالإسلام خاتم الرسالات وأكملها، ولكن، إلهي إن سفري هو تدعيم لإسلامي وهو تدعيم لمبادئ حبيبي محمد، وهي مبادئ يشترك فيها ويتفق عليها كل البشر. فرجوت إلهي أن أعمّق هذه المبادئ في ذاتي وفي أعماقي... اللهم لا تردّني خائبا... اللهم أنت الكريم فأكرمني، وأنت الرحيم فارحمني، وأنت الهادي فاهدني.

ملاحظة

لاحظت اليوم وأمس أني أشعر بصداع خفيف بحلول الليل وهو أمر لم يحصل لي من قبل. أشعر وكأن رأسي ممتلئ! بالأمس لم أفكر في الأمر كثيرا لكن اليوم حللت الموضوع ووجدت سببا عجيبا للصداع. وهو أن عقلي يعمل ويفكر دون توقف طوال اليوم ودون راحة. ففي السابق بسبب الاندماج في التواصل عبر الجوال أو الإنترنت أو مشاهدة التلفزيون. كلها كانت أمور تعطي العقل والتفكير نوعاً من الراحة لأنها تلهي الإنسان عن التفكير وتجعله ينغمس فيما يشاهد سواء في التلفزيون أو النت أما خلال فترة بقائي هنا فلا توجد أي شواغل، فعقلي دائم التفكير. لذلك أشعر وكأن عضلات مخي تؤلمني لأني مرنتها أكثر من المعتاد، مثل ألم عضلات الجسم بعد التمرين تماما. وهذه فائدة أعتبرها جيدة للخلوة.. تمرين عضلات المخ وتوسيع قدراته.

امرأة تركية

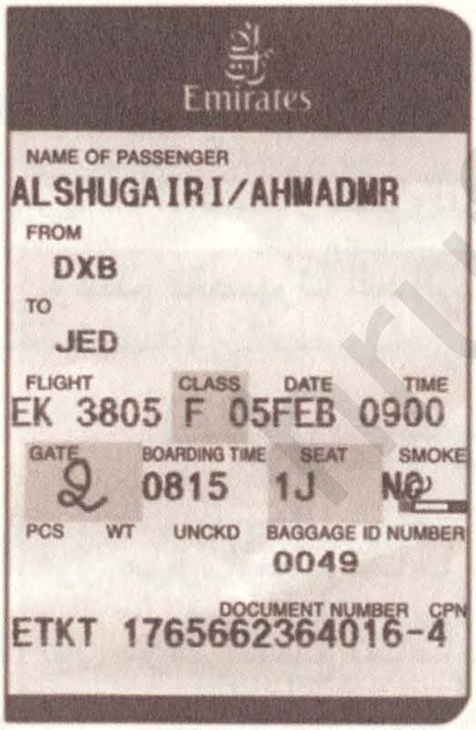
في حديث لي مع امرأة تركية في المقهى العام في المنتجع وبعد بعض الخواطر حول سبب قدوم كل منا إلى هنا، قالت لي: أنا لا أحتاج محمد ولا عيسى ولا بوذا، أنا أحتاج أن أصل إلى الله بنفسي!! فسألتها ما المشكلة في وجود أنبياء، قالت: انظر حولك، انظر ماذا فعل أتباع محمد وأتباع عيسى في الأرض، هل جعلوا الأرض مكان أفضل للعيش فيه؟؟ عندنا في تركيا المتديّنون يغشّون ويسرقون باسم الدين، وأنا لا أحتاج إلى هذا الخداع فقلت لها: هذا أمر يحزن القلب أن يتمّ تشويه صورة إنسان رائع بسبب سوء عمل أتباعه! تماما مثل الجوهرة الثمينة التي غطاها صاحبها بالقاذورات فنفر منها الناس.. ثم قلت لها: عندي طلب، فقالت: تفضّل، قلت: أعط نفسك فرصة للتعرف على محمد بعيدا عن أتباعه اليوم. تعرّفي عليه مباشرة بدون وسيط.. هل ممكن أن تفعلي ذلك؟ فرحبت بالفكرة، وقالت: أنت أول مسلم أقابله لا يحاول فرض رأيه على الناس، وأرى فيك نورا يجعلني أتقبّل ما تقول، لذلك أرجو أن تدلّني على أي قراءات تنصح بها عن محمد! شعرت بسعادة بالغة ونويت أن أدلّها على أفضل ما أعرف من الكتب الإنجليزية، وقلت لها أني سأهديها كتابي الجديد "محمد في القرن الـ"21" عندما يصدر إن شاء الله.

صدق من قال أننا نحن المسلمون عندنا أفضل سلعة وأسوأ بائع!! وأضيف من عندي أن عندنا أشهى أكلة وأسوأ

طباخ أفضل دواء وأسوأ طبيب أفضل بضاعة وأسوأ مسوقين اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا تحت مسمى الدين!

اليوم الأخير

باقي ساعات على انتهاء إقامتي في الهند والحق يقال أنها كانت واحدة من أسعد أيام حياتي وأكثرها سلاما وأكثرها حرية (حرية من قيود مشاغل الدنيا).. ويبقى السؤال: هل هذه الحالة ستستمر بعد عودتي إلى جدة وانخراطي مرة أخرى في أمور الحياة أم زي ما يقولوا "حترجع ريما لعادتها القديمة"؟؟ فالتحدي الأكبر ليس الشعور بالسلام أثناء العزلة ولكن التحدي الحقيقي هو الشعور بالسلام في وسط الزحام، وفي وسط تحديات ومصاعب الحياة! أتمنى أن تكون الأيام هذه عبارة عن شحن لبطارية الروح وأنه عند عودتي سأطبق كل الاستراتيجيات والقرارات التي اتخذتها في هذه الرحلة، والتي سأكتبها في آخر هذه الخواطر.


Emirates
NAME OF PASSENGER
ALSHUGAIRI/AHMADMR
FROM
DXB
TO
JED
FLIGHT EK 3805 CLASS F DATE 05FEB TIME 0900
GATE BOARDING TIME 0815 SEAT 1J SMOKE NO
PCS WT UNCKD BAGGAGE ID NUMBER 0049
DOCUMENT NUMBER CPN
ETKT 1765662364016-4

بطاقة الصعود إلى الطائرة في رحلة العودة من دبي إلى جدة

نتائج الرحلة التي تحققت بفضل الله

1. وضع الخطوط العريضة لكتاب "محمد في القرن الـ21" بالإنجليزية.
2. الانتهاء من كتابة كتاب "رحلتي مع غاندي" الذي بين أيديكم الآن.
3. قراءة سبعة كتب مختلفة في الروحانيات وتطوير الذات.
4. الخروج بأفكار لأربع حلقات جديدة (لخواطر 4) إن شاء الله.
5. الشعور بسلام وارتباط أوثق بالله سبحانه وتعالى.
6. زيادة استشعار مسؤوليتنا نحن المسلمين تجاه البشرية وعظم تقصيرنا الحالي.

أول مرة في هذه الرحلة

1. أول مرة.. أنقطع تماما عن الجوال لمدة 8 أيام كاملة.
2. أول مرة.. أنقطع تماما عن الإيميل لمدة 8 أيام كاملة.
3. أول مرة منذ 6 سنوات (منذ بداية يلا شباب) أذهب إلى مكان لا يعرفني فيه أحد، فآخذ راحتي دون الشعور أني مراقب، وأن كل حركة أقوم بها مرصودة!!
4. أول مرة ألبس روب لونه أحمر "عنابي".
5. أول مرة أؤلف كتاب في خمسة أيام وأكتبه بخط يدي دون كمبيوتر.

6. أول مرة أكتشف أن مخي قد صدأ وأني لا أذكر كيف أقوم بعملية "قسمة" حسابية بسيطة.
7. أول مرة أجلس في غرفة لمدة 8 أيام ليس فيها تلفون أو تلفزيون.
8. أول مرة آكل طعاماً نباتياً لمدة 8 أيام دون لحمة أو دجاج (كان لي تجربة سابقة في جدة لكن لم تدم طويلا).
9. أول مرة أسافر إلى الهند.
10. أول مرة أتعامل بعملة "الروبية".
11. أول مرة أقرأ كتاباً كاملاً في اليوم لمدة سبعة أيام متواصلة لأنهي سبعة كتب في أسبوع!!
12. أول مرة أشعر بخوف حقيقي على حياتي (عند توقف التاكسي في وسط الطريق المظلم من المطار).
13. أول مرة أكتشف أن قلبي معلّق بالجوال والإنترنت وأن علي فك هذا التعلق من أجل حرية روحي.
14. أول مرة يمر من جنبي كلب دون أن أخاف.
15. أول مرة أشعر برحمة تجاه ورق الشجر وأقوم بتنظيفه من الأوساخ التي عليه.
16. أول مرة أستمع لشخص كوري يتحدث إلي بالكورية لمدة عشرين دقيقة دون أن أفهم كلمة!! (خلال الدورة المقلب التي حضرتها).

أزرار المصعد

أزرار المصعد في الفندق الذي أنا فيه تعمل باللمس، يعني هي عبارة عن لوحة فيها أرقام والمفترض أن تلمس الرقم (ليست أزرار الضغط المعتادة). منذ وصولي وأنا أعاني في الصعود للدور الرابع الذي أسكن فيه، فأحتاج عادة إلى 3 أو 4 ضغطات قوية قبل أن يعمل المصعد. اليوم، وهو يومي الأخير، وأنا في قمة الشعور بالصفاء الذهني والسلام الداخلي والحمد لله - حيث أشعر أن كل حركاتي الجسدية أيضا أصبحت أبطأ وأهدأ، وتعاملي مع الناس ومن حولي فيه من الرفق ما فيه - فدخلت إلى المصعد فضغطت الزر الرابع برفق شديد، فعمل من أول ضغطة!! واو!!! ونفس الشيء حدث طوال اليوم! الزر يعمل من أول مرة، فاكتشفت أن الموضوع يحتاج إلى ضغطة بسيطة هي أقرب إلى اللمس، وأنك إذا ضغطت بقوة فلن يعمل من أول مرة!! سبحان الله أليس هذا الحال مع البشر؟ العنف والقسوة تجعل الذي أمامك لا يعمل كما تريد، يجعله "يعصلق". أما الرفق فيسهل الأمور دائما. وصدق سبحانه القائل ﴿...وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾!! آية عجيبة، يعني أنت يا محمد ورغم أنك نبي ورسول وتتلقى الوحي من الله مباشرة ورغم كل هذا لو لم تتحل بالرفق.. لو كنت فظا، لن يبقى حولك أحد!! إذن قول الحقيقة لوحده لا يكفي، ولكن كيف تقول الحقيقة هو المهم. وصدق الشافعي إذ يقول:

تقـول هذا خبـاء(*) النـحـل تمدحـه
وإن تشـأ قلـت ذا قــيء الزنـابـيـر
مدحـا وذمـا ومـا جاوزت وصفهما
والحـق قـد يعـتريـه سـوء تعبير

كلب

مر كلب في المكان الذي أكتب فيه خواطري. وفي أول وهلة أحسست بخوف وبدأ قلبي يدق بسرعة. فأنا صراحة لا أحب الكلاب، بل وأخاف منهم، أو كما قال عادل إمام "أنا بخاف من الكلب يطلعلي أسد!!!" ثم قلت هذه فرصة لأطبق استراتيجية السلام الداخلي وعدم الانقياد لرد الفعل الأوتوماتيكي. فأغلقت عيني وبدأت أفكر أن هذا الكلب من مخلوقات الله وأنه سيمر من جنبي بسلام وأن الله الذي خلقني وخلقه سيجعل سلاماً بيننا.. ولم تمر لحظات إلا وشعرت براحة نفسية وعادت دقات القلب إلى معدلها الطبيعي، ومر الكلب بسلام كنت سعيد أني بدأت أطبّق وكنت سعيداً أني بدأت عملياً أخرج من حياة الـ"autopilot" أو الحياة الأوتوماتيكية، التي تكون فيها ردود الأفعال بدون وعي، إلى حياة أكثر وعيا وأكثر ارتباطا بمخلوقات الله.

(*) الخِباء من الأَبنية: واحد الأَخبية، وهو ما كان من وَبَر أو صوف ولا يكون من شَعَر، وهو على عمودين أو ثلاثة، وما فوقَ ذلك فهو بَيْت. (لسان العرب).
الخِباء: المنزل... وأقرب معنى فيما يتعلق بالنحل: هو كِمام النَّور.. أي وِعاء طلع الزهر الأبيض.

تناغم مع النمل!!

لاحظت النمل وأنا جالس، فاقتربت وتأملت، فوجدت عدداً منه يسير ويبحث عن رزقه (أو على الأقل هذا ما قدرت). فشعرت للحظة بوجه شبه بيني وبين هذا النمل، وهو أن كلانا من خلق الله!! فوضعت إصبعي على أمل أن تأتي نملة فتسير على يدي لأتأمل فيها. وفعلا جاءت واحدة وسارت على يدي، وجلست أسبّح، وتذكرت الآية ﴿...لاَيَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾، فتساءلت هل يا ترى تعرف النملة أنني أحمد؟؟ جلست أتأمل فيها وأسبّح بحمد الله وأعلم أنها أيضا تسبّح، ﴿...لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...﴾، ثم أطلقتها بسلام. ثم رأيت بعدها بقليل نملة تسير بسرعة وباضطراب وغير استقرار، فجال في بالي خاطر: هل يعقل أنها شعرت بوجود بشر يسبّح الله فأرادت أيضا أن تتواصل معه مثل النملة الأولى؟؟ فوضعت إصبعي وفعلا جاءتني النملة وسارت على كفي!! تأملتها وقد هدأت حركتها، وجلست أسبّح الله وأتأمّل ثم أطلقتها وقلت لها في نفسي: بلّغي سلامي لباقي النمل الذين معك وقولي لهم أنه في يوم من أيام الله، في بقعة من بقاع الله تسمى الهند، جاءكم مؤمن يسبّح الله وألقى عليكم السلام، ولقاؤنا القادم يوم القيامة إن شاء الله، لعلكم تشهدوا لي أن "أحمد" سبّحك يا رب في هذا المكان، في هذه اللحظة. (هذه كانت واحدة من أرقى اللحظات في حياتي).

سؤال وجواب

س: هل تؤيد ذهاب الشباب إلى هذا المنتجع؟

ج: لا.. لا أؤيد الذهاب إلى هذا المنتجع تحديدا، لأني اكتشفت فيه العديد من الأمور المخالفة لشرعنا وديننا. ولكني أؤيد وبشدة الذهاب إلى منتجع آخر يعلم طرق "التأمل" ولكن بأسلوب منضبط. وأؤيد على أقل تقدير "العزلة" أو "الخلوة" في أي مكان لمدة خمسة أيام على الأقل، مع المحافظة على اللاءات التالية: (1) لا للجوال (2) لا للإنترنت (3) لا للتلفزيون (4) لا لوجود أصدقاء (5) لا للتدخين (6) لا للقهوة أو أي منشطات.

س: أليس في الإسلام وفي تعاليم محمد ما يكفي؟ لماذا البحث عند الآخرين؟

ج: عقيدة الإسلام تكفي، وتعاليم الإسلام وأهدافه تكفي، ولكن الوصول إلى هذه الأهداف ليس محصوراً على المسلمين. مثال للتوضيح: نعلم أن الخشوع هدف سامي في الصلاة، ولكن هنالك ضعف لدى الكتاب المسلمين في كيفية الوصول إلى هذا الخشوع بأسلوب يناسب عصرنا الحديث وشواغل العصر. فإذا كان لدى الغير طريقة (مثل التأمل أو بعض الاستراتيجيات الذهنية) التي قد تساعد على الخشوع، فما المانع؟

مثال آخر: تنظيم الوقت مهم، وقد يكون عبادة إذا نويت ذلك، والقرآن يقسم بـ "العصر". فهل تعلّم تنظيم الوقت محصور بالمسلمين؟ أم ان الاستفادة من الغير قد يجعلني مسلماً أفضل وأؤجر على ذلك؟؟ مثال ثالث: عندما نقرأ في القرآن أن هنالك صوماً عن الكلام كان يقوم به الأنبياء في السابق.. زكريا ﴿...قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ ومريم ﴿...إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾، فهذا لا بد أنه صوم فيه فائدة وإلا لما أنزله الله على البشر... صحيح أن هذه عبادة لم نؤمر بها وأنها للشرائع السابقة، ولكن ما المانع من الاستفادة منها طالما أنها لا تخالف شيئاً في الإسلام؟ وهنا يأتي الحديث النبوي الرائع حيث يقول ﷺ: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة. قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين". إذا هنالك بيت شبه مكتمل وفيه فائدة كبيرة، وهو شرع من كان قبلنا (طالما لا يخالف نصاً صريحاً في شرعنا).

س: **هل تدعو إلى الرهبانية والانقطاع عن الحياة؟**

ج: لا مطلقا. أدعو إلى الوسطية، فالإسلام دين وسط، بين الانغماس في الحياة وترك الروح وبين الانغماس في

الروح وترك الحياة... ولكن أدعو إلى عزلة مؤقتة محددة الوقت يستعيد فيها الإنسان طاقته الروحية. اعتبرها محطة بنزين تعبئ فيها وقوداً لروحك. وأدعو أن تحصل هذه العزلة مرة أو مرتين في السنة على الأقل. وبالمناسبة هذا أمر لم أخترعه أنا، وهنالك له إشارات كثيرة منها: حديث موسى مع ربه وانقطاعه عن قومه 40 يوما.. حبّب إلى الرسول الخلوة في غار حراء ثلاث سنوات قبل البعثة... مبدأ الاعتكاف في المسجد... مبدأ الحج والتجرد من الدنيا باللبس الأبيض... الإمام الغزالي وعزلته التي دامت سنوات ثم عودته إلى الحياة الدنيا وتأليفه أروع كتبه "إحياء علوم الدين". وغيرها من الإشارات التي توحي بأهمية هذه العزلة بين الحين والآخر..

س: **أنا بنت وأتمنى تطبيق مبدأ الخلوة، لكن التقاليد تمنعني من السفر فماذا أفعل؟**

ج: يمكن تنفيذ الخلوة في المنزل في غرفتك مع التقيّد بالشروط المذكورة أعلاه.. طبعا الأمر في الغرفة أصعب لأن النفس قد تقنعك بقطع الخلوة لأسباب تافهة. وقطع الخلوة وأنت في غرفة نومك أسهل بكثير من قطعها وأنت في الهند!! ولكن الأمر ممكن بقليل من الجهد والتنظيم وإبلاغ أهلك بنيّتك... ويمكن ترتيب أن يوفروا لك الأكل في أوقات معينة.

س: ماذا تقترح أن أفعل في أيام الخلوة؟

ج: القراءة، الصوم، التخطيط للحياة، التأمل والتفكر، الصلاة، ذكر الله والدعاء، كتابة خواطر وأي أمر آخر يساعد على الشعور بالسلام الداخلي والطمأنينة.

س: أخاف أن أشعر بملل أو طفش أو ضيقة نفس وكتمة.

ج: قد يحصل ذلك، وكلما زادت هذه الأعراض كلما دل على إدمانك أو تعلّق قلبك الشديد بأمور الدنيا. وهذا الشعور هو جزء من العلاج، وهو ربما عنق الزجاجة الذي إن مر فستشعر بعدها بحرّية جميلة. اليومان الأولان لي كانت فيهما صعوبة، فعقلي كل فترة يذكرني بالجوال!! هكذا برمج عقلي لأكثر من 15 سنة!! ولكن بعد مرور 3 أو 4 أيام خرج هذا التفكير من الـ"system" ولم يعد للجوال أو الإنترنت وجود حتى في أفكاري، وهذه هي الحرية! كذلك قد تعاني بسبب التوقف عن التدخين أو القهوة، وكلها أمور ينبغي استثمار الخلوة للتحرر منها... تذكروا، الهدف هو تحرير القلب من الارتباط والتعلق بكل هذه الأمور.

ماذا ستجد في هذا الكتاب؟

ستجد خواطر و حكم حول جوانب عديدة في الحياة. كلنا في النهاية نعاني من نفس الهموم و لدينا نفس الضعف البشري، و في هذا الكتاب أتحدث بصراحة و شفافية عن هذا الضعف و عن رحلتي في علاجه و تقويمه.

ستجد جوانب روحانية و أخرى فكرية، و سيكون هنالك من كل بستان من بساتين الحياة زهرة.

سألخص أكثر ما أعجبني في سيرة المهاتما غاندي محرر الهند في القرن العشرين. لن أتحدث عن الجانب السياسي من حياته و لكن عن الجانب الانساني، عن رحلته في البحث عن الحقيقة. و عن دأبه المستمر في تقويم نفسه و معالجة ضعفه.

رحلة ممتعة مع شخصية نادرة...

ISBN 978-614-01-0150-0

9 786140 101500

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com